

جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية علوم الإنسانية والاجتماعية
علوم الإنسانية



مذكرة ماستر

أدخل الميدان
تاريخ
تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي
رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
بوسنة زينب
يوم: //

الحياة الاجتماعية بالغرب الإسلامي في عهد
المرابطين "448-541هـ/1056-1147م"

لجنة المناقشة:

رئيسا	أستاذ م ب بسكرة	د/كربوع مسعود
مشرفا	أستاذ م ب بسكرة	د/كربوعة سالم
مناقشا	أستاذ م ب بسكرة	د/حاجي فاتح



الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،
أما بعد ...

* أشكر الله تعالى أوله وآخره على توفيقه لنا وعلى الصبر والعزيمة الذي
أمدنا بها.

* و أيضا وفاء وتقديرا واعترافا مني بالجميل أتقدم بجزيل الشكر لأولئك
المخلصين الذين لم يألوا جهدا في مساعدتنا في مجال البحث العلمي وأخص
بالذكر الأستاذ الفاضل "كربوغة سالم" الذي أزال غيمة جهل مررت بها
وصاحب الفضل في توجيهي وتصحيح عثراتي جزاه الله خير.

* أشكر جميع الأساتذة تاريخ بصفة عامة ونخص بالشكر والعرفان لأساتذة
التاريخ المغرب الإسلامي وإلى كل من وقف على المنابر ليحفظنا من حصيلة
علمه ومعرفة.

* أشكر والديا الذين كانا خير سند لي وأناروا دربي وأعانوني بالطلوات
والدعوات.

* وفي الأخير أشكر جميع من ساهم في إنجاز بحثي هذا وإلى كل من علمني
حرفا.

الإهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين...

أهدي

ثمرة جهدي إلى نبع الحنان أمي التي تتسابق الكلمات لتعبر على مكنون ذاتها
حفظها الله وإطال عمرها وإلى من عمل بك في سبيلي علمني معنى الكفاح والجهد
وأوصلني إلى ما أنا فيه أبي الغالي أطال الله في عمره وأدامه لي..

إلى أختي:

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي.. سعيدة.. لطيفة.. زهرة وحب
الوهاب.. حمزة.. فيصل.. زكرياء.. وسيف الدين.. وإلى زوجات أختي.. سعاد وشيما..
إلى براعم أسرتي.. إياد.. أريج.. يوشع.. نهال.. وائل.. عبد الرؤوف.. أسينات.. أيهم

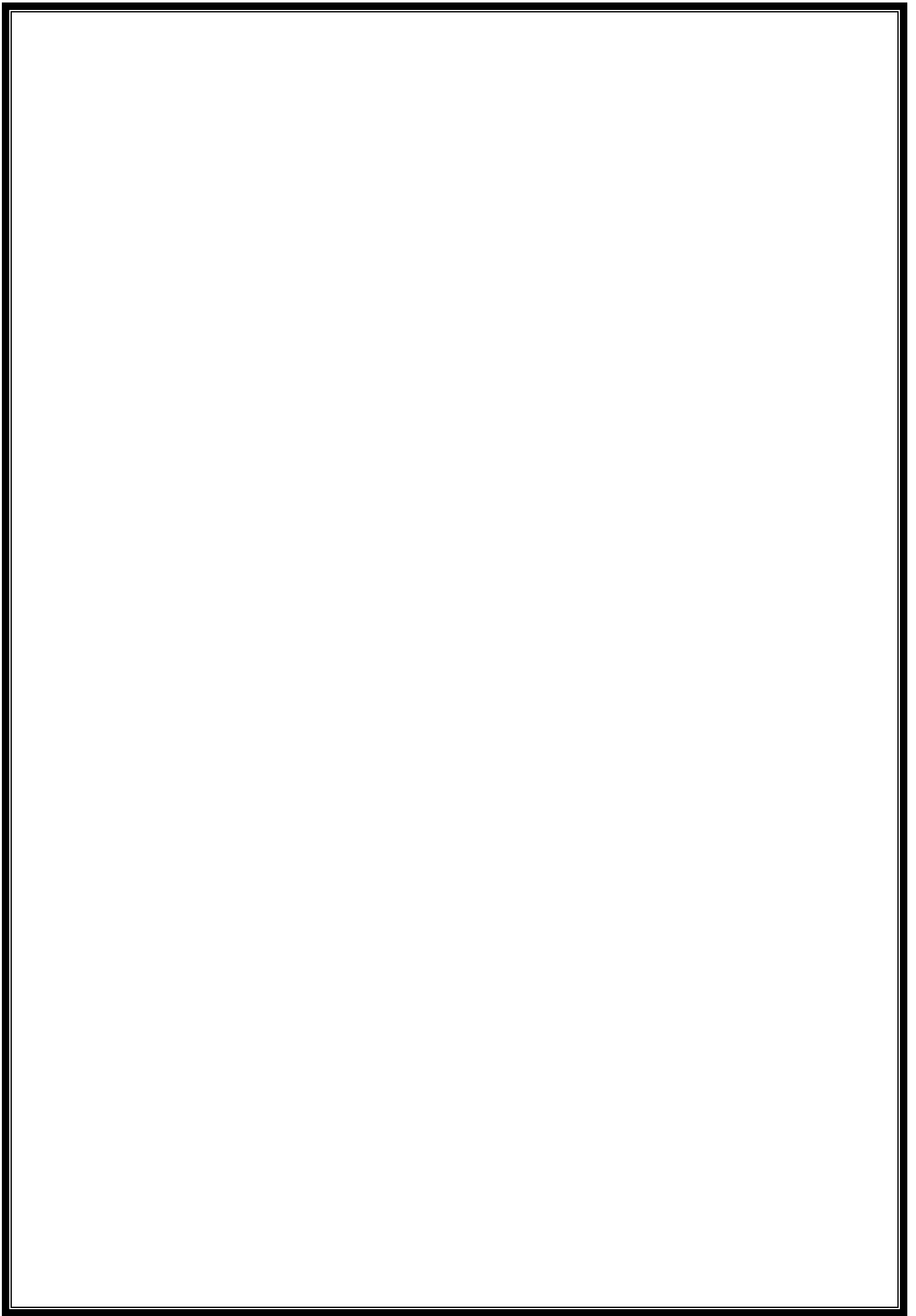
إلى حديقتي:

التي خافتك السطور من ذكرهم فحملهم قلبي.. سمر.. نملة.. خلود..
هاجر.. بسمة.. أمينة.. فوزية..

أسماء.. نادية.. حنان.. راحية.. حميدة.. سامية.. مليكة.. فطيمة..

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد وأختص بالذكر أستاذ الطيب العقبي جزاه
الله خير الذي ساعدني في إنجاز بحثي هذا.

"إلى كل محبي العلم والمعرفة"



مقدمة

لقد كان المغرب الأقصى قبل منتصف القرن الرابع هجري تحكمه إمارات متفرقة متناحرة فيما بينها، مما انعكس ذلك على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المنطقة مما أدخلها في صراع دائم على السلطة وهو ما أنتج غياب حكومة مركزية موحدة، حتى حل منتصف القرن (5هـ)، حيث تغيرت هذه الأوضاع بعد قيام دولة وطيحة الأركان عرفت بدولة "المرابطين" بالمنطقة الجنوبية للمغرب الأقصى تحت زعامة عبد الله بن ياسين واتخذت صبغة دينية أساسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاعتمدت هذه الدولة في بدايتها على التحام القبائل الصنهاجية ثم لم يلبث ذلك إلى أن تحول هذا الالتحام إلى دولة لعبت دورا هاما في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ المغرب والأندلس بصفة خاصة، حيث عملت على إرساء قواعد الحضارة الإسلامية بما قدمته من نظم محكمة في الحياة الاقتصادية والثقافية فضلا عن الجانب الاجتماعي، حيث استطاعت أن تبني كيانا اجتماعيا قويا رغم اختلاف العناصر المكونة للمجتمع التي عكست صورة واضحة على أحوال الشعوب في عاداتها وتقاليده ونمط معيشتهم، وعلى هذا الأساس سلطت الضوء على موضوعنا الموسوم: "الحياة الاجتماعية في العهد المرابطي في الغرب الإسلامي (448-541هـ/1056-1147م)".

أهداف الموضوع:

لقد كانت فترة حكم الدولة المرابطية حافلة بالأحداث التاريخية مما أدى إلى الكثير من المؤرخين والباحثين في دراسة العديد من الجوانب السياسية مما حظت باهتمام كبير على حساب الجوانب الأخرى كالجانب الاجتماعي التي لم يلقى دراسات خاصة رغم أهميته العلمية والثروة المعلوماتية التي تحتوي عليه.

لكي يفتح لنا مجال دراسة المجتمع من خلال دراسة طبقاته والذي ينعكس عن العادات والتقاليد السائدة للمرابطين، بالإضافة إلى القيم السائدة والآفات الاجتماعية التي كانت بهما يتيح لنا إبراز المكانة للحياة الاجتماعية لهذه الدولة سواء في المغرب والأندلس.

الإشكالية: أما بالنسبة للإشكالية المطروحة في موضوعنا هذا والتي تتعلق بالجانب الاجتماعي والتي تتمثل في:



- ماهي مظاهر الحياة الاجتماعية السائدة لدولة المرابطين في الغرب الإسلامي(448-541هـ / 1056-1147م)؟

وتتدرج تحت الإشكالية الرئيسية للموضوع مجموعة من الأسئلة الفرعية المتمثلة في الجانب الاجتماعي:

- من هم المرابطون؟ وما سبب تسميتهم؟
- أين يتواجد المرابطون؟ ما هي التركيبة البشرية للمجتمع المرابطي؟
- وكيف استطاعت أن تجمع بين العناصر مختلفة (البربر، العرب، مولدون)؟
- وما هو التصنيف الطبقي للمجتمع المرابطي؟
- ما هي المظاهر الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع المرابطي؟

دواعي اختيار الموضوع:

جاء اختيار موضوعنا تحت عنوان الحياة الاجتماعية في العهد المرابطي(448هـ-541هـ)(1056-1147م) بسبب ضرورة البحث في تاريخ وحضارة المرابطين وأثرها في الشعوب ، ولعل اهتمام المؤرخين والباحثين بالشقين السياسي والعسكري ومدى أثره على حساب الجانب الاجتماعي الذي قامت به الدولة مما دفعني إلى إتمام وضع لبنة أخرى في هذا الصرح المتكامل لدراسات التاريخية ولتسليط الضوء على الجانب الاجتماعي،محاولة مني إثراء بما توفر لديه من الدراسة وإمام المادة العلمية التي من المصادر والمراجع المختلفة.

خطة البحث:

للإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا الخطة التالية:

فنستهل هذا البحث إلى مقدمة وأربعة فصول، تطرقنا أولاً إلى المقدمة التي احتوت على التمهيد بالموضوع وأسباب اختياره والإشكالية وخطة العمل والمنهج المتبع وتقييم المصادر، أما بالنسبة للخطة بحثنا فنستهل بالفصل الأول، الذي هو عبارة عن مدخل تمهيدي لتعرف على أصل المرابطين وسبب تسميتهم والمواطن التي أقاموا بها وبداية الدعوة وصولاً إلى قيام الدولة المرابطية، ثم يأتي الفصل الثاني: تحت عنوان العناصر العرقية المشكلة للمجتمع

وتطرقت فيه إلى العناصر المشكلة للمجتمع بدءاً بالبربر الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم من السكان المنطقة مع ذكر أهم القبائل الصنهاجية، ثم تناولت ثاني عنصر وهم العرب في المغرب والأندلس والمولدون وتطرقت في المبحث الأخير إلى الأقليات الأخرى من الروم والصقالبة ومكانتهم في المجتمع مع التطرق إلى الطوائف المشكلة للمجتمع المرابطي التي تتباين بين الطائفة المسيحية واليهودية.

الفصل الثالث: تحت عنوان طبقات المجتمع المرابطي تطرقنا فيه إلى طبقات المجتمع فتناولنا أولاً، الطبقة الحاكمة المشكلة من الأمراء وقادة الجيش والوزراء والولاة ومشرفي المدن، أما الطبقة الوسطى تطرقت إلى التجار والصيارفة والسماصرة وأصحاب المهن الحرة، وفي الأخير تطرقنا إلى الطبقة العامة المشكلة من صغار التجار والفلاحين والصناع والمهمشين مع فئات أخرى كالأيتام والمتسولين وقطاع الطرق.

وبالنسبة للفصل الرابع، الذي كان تحت عنواننا مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمع المرابطي الذي تطرقنا فيه إلى المبحث الأول الأسرة ودور المرأة بها ومكانتها داخل الأسرة والمجتمع والمشاكل التي كانت تواجه الأسرة، إضافة إلى ذلك تناولت العادات والتقاليد التي كان يتميزون بها كزي الأفراد أو المنازل ومختلف الأطعمة السائدة سواء في المغرب أو الأندلس و اختلافهم في هذه العادات بين فئة الطبقة الخاصة وبين العامة وتمايز الملحوظ الذي كان، إضافة إلى الاحتفالات الدينية منها أو الموسمية والوسائل الترفيهية التي يلجئون إليها أثناء أوقات فراغهم وتطرقنا في آخر عنصر إلى القيم السائدة كالكرم والضيافة وظهور الآفات الاجتماعية في هذا العصر وطرق معالجتها، ثم خاتمة التي تتمثل في حوصلة عن الموضوع.

المنهج المتبع:

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي وذلك بجمع المادة العلمية واستنباط بعض الحقائق التي تمحورت حول الحياة الاجتماعية لدولة المرابطين في العهد المرابطين واستعملت هذا المنهج طبقاً لما جاء من معلومات حيث لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابة التاريخية وتتخلل هذا السرد بعض الوصف للتعلم أكثر في الموضوع.

دراسة المصادر:

أولاً: كتب التاريخ العام

تحتل كتب التاريخ أهمية بالغة لدراسة الحقب الزمنية المختلفة لتاريخ المغرب والأندلس، وهي مصادر لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها، وعلى الرغم من تركيز هذه المصادر على العديد من الجوانب إلا أن ذلك كان مفيداً لنا.

- البيان المغرب في الأندلس والمغرب يرجع هذا الكتاب لمؤلفه ابن عذارى المراكشي (712هـ-1112م)، حققه إحسان عباس كتاب متخصص لدراسة تاريخ المغرب والأندلس لا يمكن الاستغناء عنه بأجزائه 4 خاصة في دراسة المغرب والأندلس وترجع أهمية هذا لكتاب لاحتوائه على شيوخ ثقاة عاصرو الحدث.

- الأنيس المطرب بروض القرطاس: كتاب يرجع لمؤلفه ابن أبي زرع الفاسي

(ت 726هـ/1326م) استفدت من هذا الكتاب في مواضيع كثيرة منذ بداية دولة المرابطين بجنوب الصحراء.

- كتاب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية: كتاب صغير الحجم، كثير الفوائد مؤلفه مجهول يعالج تاريخ المغرب والجزء الأهم في كتابه قد خصصه للدولة المرابطين منذ بداية قيامها إلى تأسيس مراكش أفادني في مواضيع كثيرة خاصة في فترة حكم يوسف بن تاشفين ، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي أفادتي في بحثي هذا لاعتماده على كتب مفقودة كابن الصيرفي.

- كتاب تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد: مؤلفه عبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ/1405م): يعد هذا الكتاب من المصادر الرئيسية التي تفيدني في بحثي هذا حيث يعالج تاريخ المغرب ويعتبر موسوعة شاملة، حيث حدثنا في الأصول الأولى التي تشكل منها المجتمع المرابطي ابتداءً من تلك القبائل الصنهاجية وناقش في جزءه السادس والسابع خاصة التركيبية العرقية التي كان يتشكل منها مجتمع المرابطي خاصة البربر.

ثانيا: كتب الجغرافيا

- كتاب "صورة الأرض" ابن حوقل معاصر نهاية القرن الرابع الذي اعتمدت عليه في التعريف ببعض مناطق الجغرافية.

- كتاب "المغرب في ذكر بلاد إفريقية" والمغرب لمؤلفه أبي عبيد الله البكري (478هـ-1113م)، ويعتبر من أهم الكتب الجغرافية الذي أفدانا في الدراسة، خاصة أنه عاصر مرحلة الأولى من قيام الدولة استفدت من معلومات قيمة منذ بداية دعوة إلى غاية تأسيس مراكش، وخاصة في وصفة للمدن المغرب.

- كتاب "صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس" لمؤلفه الإدريسي

(ت561هـ/1164م) تكمن أهميته في كونه معاصر لهاته الفترة وقد ساعدني كثيرا بذكره أحوال المدن المغربية والأندلسية وما بها من الصناعات كما وضح لنا بعض الغموض خاصة في الفصل الثالث المبحث الثاني الطبقة الوسطى.

- كتاب "معجم البلدان" وهذا لمؤلفه، ياقوت الحموي أفادني هذا الكتاب في التعريف الكثير المناطق التي كان بها المربطون.

ثالثا: كتب التراجم والطبقات:

فهذه الكتب نقصد بها الكتب التي اهتمت بتاريخ الرجال حسب أنماط مختلفة من الناس سواء أنبياء أو خلفاء وعلماء وغيرهم فهي تدرس جميع الطبقات التي من بينها:

- "كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدين بن الخطيب فقد تعرفنا من خلاله على العديد من الشخصيات المهمة للدولة المرابطية والتي تركت بصمتها خلال فترة حكمها.

- إضافة إلى "كتاب أعمال الأعلام" لترجمة بعض الشخصيات التي كان لهم الأثر في مجتمع المرابطي سواء كانوا من أفراد طبقة الحاكمة أو الطبقة العامة.

- كتاب "التكملة لكتاب الصلة" وهو من أهم الكتب ما ألفه ابن الأبار القضاعي (ت658هـ/1259م) الذي ألف الكثير من المصنفات التاريخية، من بين كتبه الذي اعتني بتحقيقه الدكتور عبد السلام هراس وهو موسوعة في تاريخ رجال الأندلس على اختلاف



توجهاتهم وكتابه "الحلة السيرة" الذي اعتني بتحقيقه حسين مؤنس وهو من كتب التراجم المهمة خاصة أنه استعان في كتابته على مصادر أخرى.

رابعاً: كتب النوازل والحسبة

- كتاب "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب (834-914هـ / 1430-1508م)" للمؤلف الونشريسي.

- كتاب فتاوى ابن رشد: لصاحبه أحمد بن رشد المالكي (ت520هـ/1126م) كتاب فتاوى تكمن أهميته في كون فتاويه تمثل اتساعاً زمنياً ومكانياً وله أهمية كونه تعكس صورة عن الواقع الاجتماعي المعاش.

5/المراجع:

بالنسبة إلى المراجع: فقد أفادتنا مجموعة من المراجع التي قمنا باستخدامها في موضوع البحث هذا: نذكر كتاب "مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين" للمؤلف إبراهيم القادري بوتشيش حيث تكلم عن الحياة الاجتماعية للدولة، كما اعتمدنا على تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين لنفس المؤلف الذي أفادني خاصة في مظاهر الحياة الاجتماعية بالإضافة إلى الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين إلى صاحبه حسن علي حسن أفادتنا كذلك هذا الكتاب في محطات عديدة، وكذلك كتاب التاريخ السياسي والحضاري لعبد المنعم حمدي وهو أيضاً تحدث عن الجانب الاقتصادي وفصل فيه.

6/الرسائل الجامعية:

المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية، دراسة دكتوراه لدكتور عيسى بن الذيب الذي أفادني كثيراً في دراستي كونه عالج الحياة الاجتماعية بالتفصيل. وكذلك الآداب في الحسبة: ابن عبدون والسقطي وقد أفادتنا هذه الرسائل خاصة فيما يتعلق بأمور الأسواق ونظامها والمحتسبين.

صعوبات البحث:

واجهتني بعض الصعوبات في موضوعنا هذا، وهي صعوبة الفصل بين الجانب الاجتماعي مع الجوانب الأخرى الثقافية منها والسياسية والاقتصادية إضافة إلى ذلك تشعب الموضوع كثيرا بما أنه في عهدين المغرب والأندلس إضافة إلى نقص المادة العلمية عن الحياة الاجتماعية في المغرب خاصة.

الفصل الأول

الفصل الأول: الجذور التاريخية لدولة المرابطين.

المبحث الأول: أصل المرابطين.

المبحث الثاني: سبب التسمية.

المبحث الثالث: الأمتداد الجغرافي للمرابطين.

المبحث الرابع: بداية الدعوة وقيام دولة المرابطين.

المبحث الأول: أصل المرابطين.

لعبت دولة المرابطين دوراً هاماً في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ المغرب والأندلس بصفة خاصة، حيث يبدأ تاريخهم في جناح المغرب الأيمن في الصحراء الغربية أو ما يسمى بالسودان الغربي¹، وفي هذه الصحراء الشاسعة كانت تعيش قبائل صنهاجة² التي تنقسم بدورها إلى قسمين: صنهاجة الشمال³ وصنهاجة الجنوب⁴ واحتوت صنهاجة تحت جناحها سبعين قبيلة ومن بين هذه القبائل لمتونة⁵ وجدالة⁶ ولمطة⁷ ومسوفة⁸، ولمعرفة هذه الدولة المرابطية لابد من التعرف على الأصول العرقية لها:

¹ عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الإسلامي من الفتح حتى السقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، 1402هـ - 1981م، ص419.

² صنهاجة، هي نسبة إلى صنهاج بن حمير بن سبأ وقيل صنهاجة فخذ من هواره، وهواره فخذ من حمير يمانيون من ويد الصوار بن وائل بن حمير، وتنقسم صنهاجة إلى سبعين قبيلة أشهرهم لمتونة جدالة مسوفة لمطة مصراتة تكلاتة منداسة بني وارث بني مسفير. أنظر، أبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ج1، ص ص119-120.

³ صنهاجة الشمال، كانت لهم الدول سياسية كبطن تلكاتة التي أنجبت دولتين الزيرية والحمادية، فالدولة الزيرية نسبة إلى زيري بن مناد أما الحمادية فتنسب إلى حماد بن بلكين بن زيري. أنظر، عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في خبر العرب والبربر ومن عاصرهم من ذي الشأن الأكبر، ضبط المتن، خليل شهادة، سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 1421هـ - 2000م، ج6، ص201، عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، 1426هـ/2006م، ج1، ص ص385-397.

⁴ صنهاجة الجنوب، المعروفين بالملثمين يقول ابن خلدون: أنهم الملثمون الموطنون بالفقر والرمال. أنظر، ابن خلدون، العبر، ج6، ص241، حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، 1980م، ص ص294-295.

⁵ لمتونة، وهي أولاد لمط وجدالة ولمط ومصطوف حيث أن لمط جد لمتونة ابن وجدال جد جدالة ولمط جد لمطة ومصطوف جد مسوفة وكلهم ينسبون إلى صنهاجة. أنظر، مؤلف مجهول، الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق، سهيل زكار وعبد القادر زمانة، دار الرشاد الحديثة، 1939م - 1979م، ص ص57-60.

⁶ جدالة، هي إحدى قبائل صنهاجة أهلها رحل يقيمون في الصحراء تمتد أراضيهم إلى نهر السنغال وتعتبر مدينة أوليل مركزاً لها لإحتوائها الملح. أنظر، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص59، حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطون مقدمة شرقية من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ص46.

⁷ لمطة، هم أولاد لمتونة وينسبون إلى صنهاجة وهم ضواغن الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل يأوون إليه ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين ما بين السودان وبلاد الإسلام. أنظر، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص17.

⁸ عبد المنعم حمدي حسين، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المغرب الإسلامي، 1403هـ - 1983م، ص200.

الأصول العرقية للمرابطين يشير ابن الأثير " بأن المرابطين عدة قبائل ينسبون للحميريين"¹، و من أشهر هذه القبائل لمتونة وجدالة²، ولمطة ومسوفة³ وترغة⁴، خرجوا من بلاد اليمن وارتحلوا إلى الصحراء⁵ ويقول أبي زرع الفاسي " أن هذه القبيلة تنحدر من عبد شمس وائل بن حمير جاء بهم⁶ بهم⁶ الملك إفريقش⁷ لما بني مدينة إفريقية نزلت قبيلتان هما " صنهاجة وكتامة"⁸.

ويقول ابن خلدون: في عبره { أن المرابطين من قبيلة لمتونة } والتي هي بطن من بطون صنهاجة التي ذكر فيه أنه لا يكاد قطر من أقطار بلاد المغرب يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى زعم البعض أنهم ثلث البربر⁹ و ورد عند النسابة أنهم من بطون البرانس وهم من ولد برنس بن بر بن قيس بن علان¹⁰، يسمون البرانس¹¹.

¹ حميريين، هم بربر من صنهاجة وأعقابهم موجودون إلى الآن يعرفون بالطوارق. أنظر، محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار، تحقيق، علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، مجلد1، ص431.

² أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ-1987م، ج8، ص470.

³ مسوفة، من قبائل الصنهاجية التي كانت مضاربها قاحلة إذا حصرت بين سجلماصة في الشمال و أدوغشت في الجنوب. أنظر، ابن خلدون، العبر، ج6، ص180. أنظرأيضا، ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص ص119-120، مجهول، الحل، ص17، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص ص45-46.

⁴ ترغة، تنتشر ترغة في وادي درعة بالمغرب. المرجع نفسه، ص ص44-45.

⁵ يذكر صاحب الحل: أن سبب خروجه من اليمن أن بعض الأخبار أخبروه بحوادث الأيام بالكتب المنزلة من الله على رسوله عليه الصلاة والسلام إن الله يبعث رسولا خاتم الأنبياء ويرسله إلى جميع الأمم فأمن به وسار إلى اليمن راجيا أهل مملكته إلى الإيمان فلم يجبه إلا طائفة من قوم حمير. أنظر، مؤلف مجهول، الحل الموشية، ص ص18-19.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص119-120.

⁷ إفريقش، بن أبرهة ذي منار بن الحرث الزائش بن شداد بن مطاط بن عمرو بن عبد شمس بن وائل بن حمير خرج غازيا نحو بلاد المغرب و دخل إفريقية فلما توغل بالمغرب بنى مدينة إفريقية وهي مشتقة من اسمه. أنظر، المصدر نفسه، ص119.

⁸ كتامة، هي قبيلة بربرية من البرانس تقيم بين ميلة و جيجل، كانت من أكبر المناصرين للشعية. لتفصيل أنظر، بوزيان دراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، ط4، 2010م، ج2، ص168.

⁹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 241.

¹⁰ أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق، محمد هارون، ط5، دار المعارف، مصر، ص495.

¹¹ البرانس، هم بنو برنس بن بر وهم سبعة قبائل من بينها أوربة، صنهاجة كتامة. أنظر، المصدر نفسه، ص 201. أبو العباس أحمد بن علي أحمد القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتب المصرية، مصر، 1991م، ص290، أنظر أيضا، ابن خلدون، العبر، ج6، ص201، ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص119.

ولمتونة قبيلة صحراوية وبلادهم في القبلة مسيرة 6 أشهر ولا علم لهم بأمر الزرع والحرث والصناعة ويعتمدون في غذائهم عن اللحم واللبن ولا يستقرون بمكان بل يرتحلون من مكان لآخر¹ لآخر¹ ويقول ابن خلدون: اتخذوا اللثام خطاما ما تميزوا به وعد اللثام الذي يلبسونه شعارا يميزهم عن بقية القبائل الصحراوية الأخرى².

¹ ابن خلدون، العبر... ج6، ص206.

² المصدر نفسه، ص201.

المبحث الثاني: سبب التسمية

عرفت صنهاجة الجنوب "بالصنهاجة اللثام" ¹ وعد اللثام ¹ الذي يرتدونه شعارا يميزهم عن غيره فيذكر البكري في ذلك: { بأن جميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو جوف اللثام لا يبدو منه إلا محاجر العنين ولا يفارقونه ولا يميز رجل منه حميم ولا ولده إلا إذا تنقب وصار ذلك ألزم من جلودهم ويسمون من خالف ذلك أفواه الملتمين } ²، واتخذ ذلك طابعا غريبا حيث كانوا يلبسونه بين كل الأوقات سواء كان الجو حارا أو معتدلا أو باردا، في الليل أو النهار، أثناء العمل والراحة بل ينامون به ويستيقظون به وأن الرجل منهم لا يعرف إلا إذا تلثم وحتى في المعارك فإن الرجل منهم إذا توفي لا يعرف إلا تلثم وإذا مات لا بد أن يرد عليه لثامه كي يتعرفوا عليه ³، ويذكر ابن عبدون: "أن اللثام لا يلبسه إلا الصنهاجي وإذا تلثم غيرهم يكون بلثام مغاير لهم حتى لا يعرف كالعبيد وأن الرجل منهم لا يعرفونه إلا إذا ردوا عليه لثامه" ⁴ وهو عادة توارثها الأبناء عن الآباء ولم يزل الطوارق ⁵ المحدثون على هذه الحال وإذا الرجل أراد إن يتلثم ⁶ اختفى على الأنظار حتى على أهله ويعد اللثام مفخرة يمتدحون به ولا يعتبر الرجل مكتملا إلا به وبهذا استقر اللثام في صنهاجة ⁷، ويذكر ابن خلدون: { اتخذوا اللثام خطاما... وذلك منذ طفولتهم دون الإناث فهن حواسر الوجوه } ⁸، إذا يعتقدون "أن ظهور الفم عورة يجب إخفاؤها... وأنه لما يخرج من الفم أنتن من يخرج من العورة" ⁹.

¹ اللثام، هو قطعة قماش يغطي بها الرجل وجهه من الأسفل إلى الأعلى. أنظر، جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق في العصور الوسطى، ترجمة، محمود عبد هيكمل، نشأة المعارف، الإسكندرية، ص256.

² عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر أخبار إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص170.

³ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص48-49.

⁴ محمد بن أحمد التجيبي ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، القاهرة، 1955، ص30.

⁵ الطوارق، اسم الطوارق الذي أطلق على الملتمين في الوقت الحالي مشتق من ترعة وترعة قبيلة من قبائل المسلمين في العصور الوسطى كانت تضرب في المنطقة الواقعة في وادي درعة في المغرب الأقصى. أنظر، المرجع نفسه، ص48.

⁶ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص50.

⁷ المرجع نفسه، ص50.

⁸ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص201.

⁹ أبي قاسم النصيبي ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1945م، ص102.

ولما قامت دولة المرابطين تغيرت التسمية من الملتمين إلى المرابطين¹.

وقد وردت أقوال عدة عن سبب تلتهمهم، يذكر ابن خلكان: أنها خدعة حربية أستعملها الحميريون في مواجهة عدوهم الذي كان يغير عليهم كلما غفل أو خرجوا من بيوتهم² ويؤيده في ذلك ابن الأثير "قال: سببها أن طائفة من لمتونة خرجوا غائرين على عدو لهم فخالفهم العدو على بيوتهم ولم يكن بها إلا المشايخ الصبيان والنساء..³، أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال يتتلمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويحملن السلاح فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما ظن العدو أنهم رجال فقتلوا العدو فجعلوا اللثام سنة يتوارثونها حتى أصبح لا يعرف الشاب منهم من الشيخ⁴، تحول اللثام إلى عقيدة راسخة لدى الرجال و ضرورة لبسه⁵، وفي هذا يقول ابن خلكان⁶ " أن حمير كانت كانت تتنلم لشدة الحر والبرد ويفعله الخواص منهم فكثر حتى صار يفعله العامة⁷، ويقول الناصري: في ذلك "أن الملتمين لا يكشفون عن وجوههم أصلا ومما قيل في اللثام" يقول أبو حامد:

قَوْمٌ لَهُمْ دَرَكُ الْعُلَا فِي حَمِيرٍ *** وَإِنْ ائْتَمَوْا صِنْهَاجَةً فَهُمْ هُمْ

لَمَّا حَوَوْا إِحْرَارَ كُلِّ فَضِيلَةٍ *** غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَنَّمُوا⁸

يذهب علماء الأنثروبولوجيا أن استخدام المرابطين اللثام قد يكون مظهرا من مظاهر انتسابهم لأمهاتهم واحترامهم للمرأة في ذلك وأسمائهم وأمرائهم وقوادهم ومن بين القواد ابن فاطمة¹.

¹ ذكر ابن خلكان بأن يوسف بن تاشفين هو من سمي أتباعه المرابطون أما ابن أبي زرع فيرى بأن عبد الله بن ياسين هو الذي أطلق عليهم التسمية. أنظر، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م، ج7، ص129، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص125.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص170.

³ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص300-301.

⁴ أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، الوفيات و أنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1986م، ج7، ص129.

⁵ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص36.

⁶ ابن خلكان، وفيات، ج7، ص242.

⁷ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق، محمد عثمان، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ج1، ص99.

⁸ المصدر نفسه، ج1، ص99.

واتخذته النساء في أعراسهم وأصبح عادة² والمرجح لاستخدام اللثام هو ظروف المناخ الصحراوي الجاف في الصيف والبرد القارص في الشتاء هو الذي فرض اللثام³.
نستنتج أن تسميتهم جاءت نسبة للثام الذي كان يرتدونه والذي أصبح يتميز به الصنهاجي اللمتوني على غيره، والذي كان يلزمهم في كل الأوقات ولا يفارقهم.

¹ أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م، ص91.
² أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة، محمد عبد الله عنان، تقديم، سليمان العطار، القاهرة، 2011م، ج2، ص62.
³ حامد محمد الخليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين، مكتبة الصحابة، الإمارات، 2004م، ص13.

المبحث الثالث: الامتداد الجغرافي للمرابطين.

سكن المثلثون الصحراء¹ الممتدة من "غدامس"² شرقا إلى المحيط الأطلسي³ من الغرب وجبال درن⁴ شمالا إلى أواسط الصحراء الكبرى⁵، وقد حرمت هذه المنطقة من الأنهار دائمة الجريان والغطاء النباتي الأخضر والأمطار إن هطلت عليها فهي قليلة وأحيانا تتحبس عنها لعدة سنوات عدة ولم تعد للنبات شكلا وتعرض سكانها المجاعة⁶، ويذكر ابن أبي زرع الفاسي: أن مضاريهم من الشرق إلى الغرب مسيرة سبعة أشهر طولا وأربعة أشهر عرضا⁷، هذا بالنسبة للوطن للوطن الأم أما بالنسبة للمجال الحيوي التي تجوس فيه القبائل فنجد قبيلة لمطة وجزولة⁸ التي تحتل المنطقة الممتدة من جبال الدرن حتى واد نول⁹ القريب من المحيط الأطلسي¹⁰ فلمتونة من أهم هذه القبائل وأقواها فهي تمتد من منطقة لمطة وجزولة وتمتد من وادي نون على المحيط

¹ طول الصحراء التي سكنها قبائل صنهاجة ألف كيلومتر تقطعها القوافل في شهر لتصل إلى حوض السنغال. أنظر، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، دط، ص185.

² غدامس، منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المؤهلة، على نحو ثلاثمائة ميل من البحر، سكانها أغنياء لهم باستين نخل، وأموال لأنهم يتجرون مع بلاد السودان ويرتفع ثمن اللحم والقمح. أنظر، حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الأفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد محي ومحمد الأخضر، الشركة المغربية لدور النشر، الرباط، 1980م، ج1، ص146.

³ المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)، بحر غربي يقع في جهة المغرب ولا يعلم ما خلفه. أنظر، الإدريسي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، لبنان، 1989م، ج1، ص17.

⁴ جبل درن، جبل بالمغرب هو جبل معترض في الصحراء يبدأ من المحيط الأطلسي ويمر إلى الشرق حتى يصل إلى جبل نفوسة ويصل بعد ذلك بجبال الأطلسي. مغنية غرداين، نظام الحكم في بلاد المغرب عهدي المرابطين والموحدين، دراسة مقارنة (5هـ-7هـ) رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقائد، تلمسان، 2015-2016م، ص14.

⁵ أنظر، ملحق رقم1، ص116.

⁶ سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس في عهد يوسف بن تاشفين، ص ص13-14، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص12.

⁷ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص120.

⁸ جزولة، قبيلة ابنت تصكي العرجاء، بنت زحيك بن مادغيس وهي أخت من أخوات صنهاجة، موطنهم من بلاد السوس وما يليهم يليهم من بلاد الصحراء وجبال درن. أنظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص270.

⁹ وادي نول، آخر مدن الإسلام وهي أول صحراء المغرب ونهرها يسمى وادي نول يصب في البحر المحيط. أنظر، أبي عبيد الله البكري، المغرب، ص162.

¹⁰ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص45.

الأطلسي حتى رأس بوجادور وكانت تحتل هذه القبيلة موقعا ممتازا فقد سيطرت على ذلك الطريق التجاري الهام، و قبيلة جدالة تعد الأقرب إلى بلاد السودان¹ وكانت أوليل² مركزا لها واشتهرت بالملح الذي تنقله القوافل شمالا وجنوبا³ أما مسوفة فقد كانت مضاربها قاحلة إذا حصرت بين سجلماسة⁴ في الشمال وأودغشت⁵ في الجنوب التي تتحكم في التجارة المارة بين المنطقتين سجلماسة وأودغشت⁶ ولم تكن الأماكن والمواطن تجري بها الأنهار وكانت قليلة ولا أمطار لسنوات لسنوات عديدة فيتعرض سكانها للمجاعة لطلب الماء والكلاء... ويقول: عبيد الله البكري " بأنهم ضواغن الصحراء وهم إلى بلاد السودان أقرب ولا يعرفون حرثا ولا زرا ولا خبزا وإنما أموالهم الأنعام"⁷، ويضيف صاحب الاستبصار: أن لهم الأغنام الكثيرة فيعيشون من لبنها ولحمها⁸ ويقول: ويقول: ابن خلدون أنهم كانوا على دين المجوسية إلى أن ظهر الإسلام المائة الثالثة⁹.

¹ بلاد السودان، يطلق عليه إفريقيا الغربية التي تقع جنوب إفريقيا العربية يحدها شرقا بحيرة تشاد و غربا المحيط الأطلسي وجنوبا خليج غينيا. أنظر، مغنية غرادين، المصدر السابق، ص 55(الحاشية).

² أوليل، جزيرة بلبحر على مقربة من الساحل بها ملاحه، ولا يعلم في أرض المغرب ملاحه وغيرها. أنظر، عبد العزيز محمد بن أيوب أبي عبيد الله البكري، المسالك والممالك، تحقيق، اندري فان لوفين وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، قرطاج، ج1، 1992م، ص867، الإدريسي، المصدر السابق، ص31.

³ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص120.

⁴ سجلماسة، تقع في الصحراء المغرب بينها وبين فاس عشر مراحل ومنها إلى أغمات ثمانية مراحل. أنظر، ابن حوقل، المصدر السابق، ص90.

⁵ أودغشت، مدينة مغربية في جنوب سجلماسة وهي الباب الجنوبي التي تقف عندها قوافل السودان الواردة من كل ناحية نحو المنحنى العلوي للنيجر الذي كان يعتبر الممر إلى بلاد السودان ووصفها كل من البكري والإدريسي " بأنها مدينة كبيرة رملية يطل عليها جبل الموت لا ينبت شيئا - وحولها بساتين النخل ويزرع فيها القمح بلقوس ويسقى بدلاء". أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 158، أنظر، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، د س ن، ج 1، ص277.

⁶ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص45.

⁷ أبي عبيد الله البكري، المغرب..، ص164.

⁸ الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص ص99-100.

⁹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص215.

المبحث الرابع: بداية الدعوة وقيام الدولة المرابطية.

بعد هذه اللوحة المختصرة للملتزمين قبل قيام دولة المرابطين لا بد من الوقوف على دورهم الممهد لقيام الدولة أي منذ خروج إبراهيم الجدالي للحج وجلب معه فقيها يعلمهم شرائع الإسلام وينهاهم عن فعل المنكرات وللتطرق لذلك لا بد من رجوع إلى بعض المحطات قبل قيام الدولة:

فيقال أنه عند نزول المرابطين الصحراء تملكها تيرلثان بن تكيلان¹ إلى غاية (222هـ-836م) حيث توفي، وخلفه حفيده الأفرين الأثير بن فطر بن يتلوتان² فقام بأمر صنهاجة وتوفي (287هـ-900م)، فخلفه في إمارة صنهاجة من بعده نضيم بن الأثير³ إلى (360هـ-970م)، حيث خلفه أشياخ صنهاجة وقتلوه وتفرق أمرهم حوالي 120 سنة⁴، إلى أن قام محمد عبد الله بن تيفان اللمتوني⁵ اجتمع إليه أمر صنهاجة لما فيه من خصال حميدة إلا أنه لم يمكث طويلا، حيث قتل في غارة قامت بها قبيلة على دين اليهودية من السودان، قد اجتمعت صنهاجة إلى أن يخلفه⁶، يحيى بن إبراهيم الجدالي⁷ وعندما تولى يحيى بن إبراهيم تآقت نفسه إلى الحج وزيارة قبر الرسول⁸.

¹ يتلوتان بن تلاككين الصنهاجي اللمتوني، أول ملوك صنهاجة ملك الصحراء كلها ودانت لهم ملوك السودان الغربي، كان في أيام عبد الرحمان الداخل عاش نحو ثمانين سنة توفي سنة 222هـ، أنظر، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص 120-121

² الأثير بن فطر بن يتلوتان، بعد وفاة يتلوتان خلفه حفيده الأثير حتى توفي سنة 287هـ. أنظر، المصدر نفسه، ص121.

³ نضيم بن الأثير، تولى بعد أبيه ملكا على قبائل صنهاجة حتى سنة 306هـ، ثار عليه شيوخ صنهاجة وقتلوه وافترق أمرهم. أنظر، المصدر نفسه، ص121.

⁴ مغنية غرداين، المرجع السابق، ص31.

⁵ تيفان اللمتوني، أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوني بعد افتراق شيوخ صنهاجة لمدة 120 سنة، اتفقوا بعدها على تارشتا هذا ملكا عليهم، فقام لمدة ثلاث سنوات قتل بعدها في حرب مع السودان، فتولى بعده يحيى بن إبراهيم الكدالي. أنظر، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص121.

⁶ محمد بن أبي القاسم الرعيني ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في إخبار إفريقية وتونس، تحقيق، محمد تمام، ط3، المكتبة العتيقة، تونس، (دس)، ص104، أنظر، مغنية غرداين، المرجع السابق، ص31.

⁷ يحيى بن إبراهيم الجدالي، هو يحيى بن عمر بن تلاككين اللمتوني أبو زكرياء كان من رؤساء لمتونة في الصحراء كان الأمير يحيى مطاعا في قومه لما عرف عنه من شجاعة وكرم وجود ومقدرة.. أنظر، خير الدين زركلي، قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمشرقين، ط2، 1986م، ج2، ص166، أنظر أيضا، علي محمد الصلابي، الجواهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1424هـ-2003م، ص15.

⁸ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص37.

كما فعل أسلافه فخرج إلى الحج سنة (429هـ / 1037م)، مع طائفة من قومه¹، استخلف عنه ابنه إبراهيم بن يحيى في رئاسة صنهاجة² وكانت العادة أن يقترن الحج بطلب العلم³ وبعد أداء الفريضة انطلق الأمير ليبحث عن المعرفة ويرتاد المدارس المغرب، وشطر وجهه للقيروان⁴ مركز الفقهاء وارتاد مجلس الفقيه أبي عمران الفاسي⁵ فسأله عن قبيلته ووطنه فذكر: أنه من الصحراء قبيلة جدالة⁶، إحدى قبائل صنهاجة فقال لهم: { ما مذهبكم فقال له: ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب لأننا في الصحراء منقطعون لا يصل إلينا إلا بعض التجار الجهال⁷ وأنهم حريصون على تعلم القرآن لو وجدوا من يعلمهم، وكان أسمى طلبه أن يزودهم بفقيه بأمر دينهم يرجعون إليه في نوازله⁸.

¹ يذكر ابن عذارى المراكشي " قد توجه لأداء فريضة الحج ". أنظر، ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، لبنان، 1983، ج4، ص6، أنظر، علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص19.

² أبي عبيد الله البكري، المغرب، ص 169، ابن الأثير، المصدر السابق، ج3، ص74، ابن عذارى المراكشي، البيان، ج4، ص7، أنظر، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص82، مجهول، الحل، ص8، أنظر أيضا، ابن خلدون، العبر، ج6، ص373. أنظر أيضا، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص107، الناصري السلاوي، الإستقصا، ج1، ص99.

³ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص22.

⁴ القيروان، أول مدينة بناها المسلمون في جنوب تونس حاليا، كانت عاصمة المنطقة لعدة قرون، بناها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص420، عبد الحكيم العفيفي، موسوعة ألف مدينة إسلامية، ط1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000م، ص377.

⁵ أبو عمران الفاسي، هو موسى بن حجاج الفاسي أصله من فاس من بيت مشهور استوطن القيروان وتحصل على العلوم وأخذ كثيرا على علماء المشرق حيث كان أعلم الناس وأحفظهم للقرآن. أنظر، ابن أبي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص104، ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، لبنان، 1996م، ج2، ص337.

⁶ جدالة، شقيقة لمتونة وبطن أخرى من صنهاجة أهلها رحل يقيمون في الصحراء تمتد أراضيهم إلى نهر سنغال أوليل مركزا لها حيث يكثر فيها الملح الذي تحمله القوافل من الشمال والجنوب وهي أكثر الاستقرار. أنظر، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص46.

⁷ يؤيده في الرأي ابن خلدون، شكا له حال قومه كونهم منقطعين لا يصل إليهم إلا بعض الجهال حرفتهم التجارة وأن قومه حريصون على تعلم القرآن لوجدوا من يعلمهم. ابن خلدون، العبر، ج6، ص374، أنظر أيضا، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص6.

⁸ أبي عبيد الله البكري، المسالك والممالك، ص 858، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص123.

يخرجهم من الظلمات إلى النور فعرض الفقيه ذلك على طلابه فأبوا¹، فأحال أبو عمران الفاسي على تلميذ له من بلاد السوس² في أقصى المغرب وهو وجاج بن وزلو اللمطي³ أرسل صحبة هذا هذا الأمير عبد الله بن ياسين⁴، فكان عبد الله بن ياسين شديد الورع والغيرة على تعاليم الدين الإسلامي فمجرد وصوله إلى جدالة أخذ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر نظرا لما وجد عليهم من عادات منافية للإسلام⁵، فيقول: ابن أبي زرع⁶ "كانوا يتزوجون ما يشاءون ومنهم من لا يعرف الصلاة والزكاة، فكان الرجل يتزوج منهم الست نسوة والسبع والعشر نسوة وما شاء فأنكر ذلك عليهم ونهاهم عنه وقال لهم إن هذا ليس من السنة وإنما سنة الإسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة ووجد أكثرهم لا يصلون وليس عندهم من الإسلام إلا الشهادتان وقد غلب عليهم الجهل⁷ الجبل⁷ ولجؤهم إلى الزنا والسرقة⁸."

¹ ويذكر السلاوي أن سبب امتناعهم عن الذهاب صعوبة الدخول إلى الصحراء. أنظر، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص99، راغب السرجاني، المرجع السابق، ج1، ص468.

² بلاد السوس، وهي منطقة بالمغرب كانت الروم تسميه قمونية، قرب طنجة وهناك السوس الأقصى والسوس الأدنى بينها مسيرة شهرين ويعد بحر الرمال وورد عند الإدريسي أن بلاد السوس هي تارودنت وعرفت بلاد السوس بأنها بلاد السحرة والشعوذة وأنهم برابرة جفاة في مظهرهم خشنون .. ويخشاهم الناس ويحترموهم وبلاد السوس بها عمارات متصلة وبها مختلف أنواع الفواكه وهي بلاد حنطة وشعير وأرز.. رجالها ونساءها سمر البشرة .. وسكانها أخلاط من برابرة المصامدة. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص ص 152، 182، أنظر، الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص ص 227-228.

³ وزلو اللمطي، هو أحمد محمد وجاج بن وزلو اللمطي نسبة إلى لمطة أهل السوس الأقصى بنفيس رحل إلى القيروان وأخذ عن أبي عمران الفاسي وعاد إلى السوس بني دار لطلبة العلم. أنظر، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص8، الناصري السلاوي، الاستقصا، ج1، ص99، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص182، أحمد المختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، دس، ص275.

⁴ عبد الله بن ياسين، بن مكوك بن سير بن علي بن الجزولي أصله من قرية التمامونت في طرف الصحراء غانة درس الفقه على على المدرس وجاج بن وزلو وصل إلى الأندلس في عهد الملوك الطوائف وأقام بها 7 سنين اجتهد في تحصيل العلوم الإسلامية ثم أصبح خيرة طلاب بن وجاج وزلو. أنظر، ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص 86-87، أبي عبيد الله البكري، المغرب..، ص165، أنظر، مجهول، الحل، ص10، أنظر أيضا، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص21، علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص23.

⁵ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها إلى الفتح المرابطين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م، ص302.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص224.

⁷ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص82، الناصري السلاوي، الاستقصا، ج2، ص7.

⁸ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص40.

ومصادقة المرأة للرجل بعلم زوجها وحضوره¹، كما أنهم كانوا يتعاملون بقلّة الاحترام² فتشدد عليهم عليهم بفرض نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر³، فأخذوا يخافونه وينفرون يقول البكري: فأبوا عليه وخالفوا عنه بنو جدالة⁴، فعندئذ قرر الانقطاع إلى منطقة نائية⁵ فلما رأى عبد الله بن ياسين إبتاعهم لأهوائهم أراد الرحيل عنهم إلى بلاد السودان فمنعه يحيى بن إبراهيم الجدالي وقال له "لا أتركك تتصرف وأتيت بك لانتفع من علمك".

وقال: "هاهنا جزيرة⁶ على البحر ندخل إليها عن أقدامنا وفيها الحلال المحض الذي لا تشك فيه من الشجر البرية وصيد البر والبحر.... فندخل ونعيش فيها بالحلال ونعبد الله بها إلى أن نموت"⁷، فوافق على ذلك فذهب معه سبع نفر من جدالة واستقروا بها لمدة ثلاثة أشهر يتعبدون الله إلا أن تسامع الناس به⁸ بدأت المرابطة في الجزيرة عام "433هـ-1040م" بسبعة أشخاص منهم يحيى بن إبراهيم الجدالي ويحيى بن عمر اللمتوني سماهم بن ياسين المرابطين⁹، ولم ولم تمر أيام حتى اجتمع من حوله نحو 1000 رجل¹⁰ سماهم المرابطين للزوم رابطته فأخذ يعلمهم تعاليم الدين من قراءة القرآن وكيفية الوضوء والصلاة والزكاة وحبب إليهم الجهاد¹¹، وحبب إليهم الجنة وخوفهم من النار وأمرهم بالتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم نذبهم إلى جهاد من خالفهم من أشياخ صنهاجة¹² اختلف المؤرخون حول هذا فهناك رواية تقول أنه توجه "عندما دخل عبد الله بن ياسين بلاد صنهاجة صحبة زعيمه إلى قبيلة لمتونة التي بالغت في

¹ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص17.

² مغنية غرداين، المرجع السابق، ص43.

³ المرجع نفسه، ص43.

⁴ أبي عبيد الله البكري، المغرب..، ص168.

⁵ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص40.

⁶ الجزيرة، في الحوض الأدنى لنهر السينغال ويقع المكان قرب مملكة غانا وغير بعيد عن ديار الملتمين. أنظر، سعدون

عباس نصر الله، المرجع السابق، ص26.

⁷ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص79.

⁸ المرجع نفسه، ص79.

⁹ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص26.

¹⁰ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة الشباب الجامعية، 1999م، ص609.

¹¹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص79.

¹² الناصري السلاوي، الاستقصا، ج2، ص8.

إكرامه والترحيب به هذا ما يؤكدّه وصاحب الحل¹ بينما يرى رأي آخر: يتفق فيه صاحب روض القرطاس² والساوي³ وابن خلدون⁴ ابن عبد الله ياسين بدأ دعوته من أمير جدالة يحيى بن إبراهيم إبراهيم يذهب إلى الديار التي تجاور ديار لمتونة جنوباً، بينما يرى صاحب الحل: أن هذا اللقب أطلقه عبد الله بن ياسين على قبيلة لمتونة⁵ عقب معركة عنيفة انتصرت فيها لمتونة على قبائل البربر على غير دين الإسلام⁶.

فأصبح في نظرهم الإمام الناهي عن المنكر الأمر بالمعروف خطب فيهم قائلاً: يا معشر المرابطين إنكم جمع كثير وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم قد أصلحكم الله وهداكم إلى صراط مستقيم⁷، عندما اكتمل عدد هؤلاء الرجال الأشداء المصلحين خرج معم للجهاد وانضمت إليهم أعداد غفيرة من الجداليين واللمتونيين سنة (445هـ - 1053م)⁸، فسيطر على سجلماسة⁹ وهاجم وهاجم أهل السودان الغربي في حوض السنغال¹⁰، اتجهوا إلى بلاد السوس¹¹ قضوا على الوثنيين وقاتلوا اليهود ونجح المرابطون في إخضاع الزناتيين بالمغرب الأقصى¹².

¹ مؤلف مجهول، الحل، ص11.

² الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص13.

³ الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص ص7-8.

⁴ ابن خلدون، العبر، ج6، ص183.

⁵ مؤلف مجهول، الحل، ص11.

⁶ أحمد المختار العبادي، المغرب والأندلس...، ص 270.

⁷ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب...، ص ص140-141.

⁸ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص185.

⁹ سجلماسة، مدينة في جنوب المغرب الأقصى على طرف بلاد السودان. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص192.

¹⁰ نهر السنغال، هو تحريف لاتيني للكلمة العربية صنهاجية فقد عرف هذا النهر بنهر صنهاجة، ويعرف أيضاً بنهر بني الزناقية، وهو نهر ينبع من مرتفعات فولتا جالوك في غينيا ويصب في السنغال بالقرب من مدينة سانت لويس وتقدر مساحة الحوض ب340 ألف كيلومتر مربع وطوله حوالي 1790 كيلومتر وتطل عليه أربع دول هي السنغال وموريتانيا ومالي وغينيا. أنظر،

غرداين مغنية، المرجع السابق، ص45.

¹¹ بلاد سوس، هناك السوس الأدنى وعاصمته طنجة، والسوس الأقصى وهو أقصى بلاد المغرب مما يلي الصحراء الكبرى.

أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص281.

¹² المغرب الأقصى، يمتد ما بين وادي ملوية حتى المحيط الأطلسي، وسمي بالمغرب الأقصى لبعده عن مركز الخلافة المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع. أنظر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماة (ت 732هـ)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطباعته، البارون رينود، والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الصادر، لبنان، 1850م، ص122، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص133.

ثم زحفوا للمغرب الأوسط¹

وبعد كفاح دام 20 سنة عام أصبح المرابطون سادة المغرب دون منازع للمغرب²، وبعد وفاته خلفه أخوه أبو بكر بن عمر³، وكان كأخيه مثالا للإخلاص والتضحية⁴، ولم تنزل السلطة إلى اللمتوني إلى أن تولى عنها لابن عمه يوسف بن تاشفين⁵، الذي كان من أهل الدين والفضل⁶ والفضل⁶ وما لبث إلى ذهب إلى توحيد المغرب والسودان وساقته الأقدار إلى الأندلس التي ما فتئ فتئ أن ضمها إلى دولته ونشأ لها عاصمة مراكش⁷، بعد أن جمع عددا من الأنصار واستكمل قوته أمرهم بالخروج إلى تحقيق أهدافه توحيد قبيلة صنهاجة وتبدأ عملياته العسكرية بـ 3 آلاف

¹ المغرب الأوسط، ويمتد من الحدود الغربية لبجاية شرقا حتى وادي ملوية غربا وقاعدته تلمسان ويشمل مناطق وسط الجزائر وغربها وسمي بالمغرب الأوسط، لتوسطه بين المغربين الأدنى والأقصى المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع 23. أنظر، أبو الفداء، المصدر السابق، ص122، ابن خلدون، العبر، ج 6، ص134.

² عبد الرؤوف عصام الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة، القاهرة، ص253.

ابن عمه، هو يعقوب بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي تلقى تعليمه الأول في قلب الصحراء وترى على تعاليم الإمام الفقيه ابن ياسين حيث نبغ في فنون الحرب والسياسة الشرعية كان مقربا للعلماء. محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص37.

³ أبو بكر بن عمر بن تلكاكن اللمتوني، تولى زعامة المرابطين بعد موت أخيه يحيى، واستولى على كثير من القبائل والأقاليم واستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين سنة 463هـ ثم تنازل له عن الحكم توفي أبو بكر في بعض المعارك ببلاد السودان سنة 480هـ، لما توفي أخوه الأمير يحيى بن عمر ولي عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر في 448هـ وقلده أمر الحرب والجهاد ثم ندب أمر المرابطين إلى غزو المصامدة و بلاد السوس فزحف إليها في جيش عظيم في ربيع الثاني من السنة المذكورة، وكان أبو بكر رجلا صالحا ورعا جعل في مقدمة جيشه يوسف بن تاشفين غزا مدينة جزولة وفتح ماسة وتارودنت قاعدة بلاد السوس. أنظر، الزركلي (خير الدين)، المصدر السابق، ج2، ص68.

⁴ الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج3، ص21.

⁵ يوسف بن تاشفين، يوسف بن تاشفين بن تويرفت ورتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتلمي بن تاملت الحميري من قبيلة صنهاجة، كان يوسف متحليا بكثير من الصفات الكريمة والخصال الحميدة منها العدل والرحمة والكرم. أنظر، سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص35، محمد الأمين و محمد علي الرحمانى، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، دس، ص11.

⁶ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص42.

⁷ مراكش، تقع شمال أغمات وعلى 12 ميلا عنها، بداخل المغرب وليس لها سوا جبل صغير أسموه اجليز أكمل بناءها يوسف بن تاشفين سنة 470هـ، وقد أشتري أرضها من أهل أغمات وكان بناؤها من الطين والطوب وماؤها الذي استخرج بطريق هندسية حسنة الذي استخرجه عبيد الله بن يونس فكانت بها الباستين كثيرة أتخذها اللمتونين والمصامدة كرسيا لملكهم نظرا لقربها ممن أراضيهم ويذكر أن ابن أبي دينار القيرواني معناها نقلا عن ابن خلدون أنها امش مر بسرعة بلهجة المصامدة إذا كان موضعها مأوى للصوف فكانوا يتداولون هذه الكلمة فيما بينهم... أنظر، أبي عبد الله محمد بن عبد الله عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص140، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص ص233-234، ابن أبي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص107.

مرابط بدأ بقبيلة جدالة التي تأمرت عليه وأذعنت لطاعة بعد قتال عنيف عام "434هـ - 1442م" ثم اتجه إلى قبيلة

لمتونة بايعته على الكتاب والسنة¹، ثم مضوا بعد ذلك لقبيلة مسوفة الذين انضموا تحت لوائه فلما شهدت صنهاجة ذلك بادرت إلى مبايعة ابن ياسين على بذل الطاعة له ولما توفي الأمير إبراهيم الجدالي قدم ابن ياسين يحيى بن عمر اللمتوني² وكان من أهل الدين والفضل كما كان منقاداً في جميع أموره لإمامه ابن ياسين³، في سنة (448هـ - 1050م) اجتمع أهل سجلماسة ودرعة⁴ إلى ابن ياسين يرغبونه في الوصول إليهم ليخلصهم من المغراويين⁵ وأميرهم مسعود بن وانودين⁶ فخرجت جموع ابن وانودين في (448هـ - 1050م) إلى بلاد درعة فتصدى لهم ابن وانودين وانتهت المعركة بهزيمة المغراويين وأسرعوا بالدخول لسجلماسة وأصلح حالها وقدم عاملاً عليها من لمتونة توفي الأمير يحيى في (448هـ - 1050م) ثم ولى بعده ابن ياسين أباً بكر بن عمر للقيادة⁷، ثم اكتملت عملية غزو بلاد السوس واختار أبو بكر بن عمرو في مقدمة جيشه ابن عمه يوسف بن تاشفين⁸.

¹ سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص31.

² يحيى بن عمر بم تلاكاكين اللمتوني، مؤسس دولة المرابطين في المغرب الأقصى، كان من أصحاب عبد الله بن ياسين خرجوا من الصحراء سنة 448هـ، فاستولوا على جنوب الصحراء، وأقاموا الولاية منهم، حتى قتل في بعض المعارك سنة 447هـ. أنظر، خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج8، ص106.

³ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص42.

⁴ درعة، مدينة صغيرة في الجنوب الغربي للمغرب الأقصى تبعد بينها وبين سجلماسة ثلاث مراحل. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص451، أنظر أيضاً، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص226.

⁵ مغرواة، هم من بطون زناتة و أوسعها سميت بمغرواة نسبة إلى مغرو بن مسر بن زاكيا بن وريسك بن الديرت بن جانا أخته بني يفرن وكانت مواطنهم في المغرب الأوسط من شلف إلى تلمسان. أنظر، ابن خلدون، العبر، ج7، ص33.

⁶ مسعود بن محمد بن مسعود بن وانودين بن خزرون المغراوي، آخر أمراء مغرواة من بني خزر الذين حكموا سجلماسة ودرعة من سنة 417هـ حتى قتله المرابطون واستولوا على ملكه سنة 445هـ. أنظر، لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، تحقيق، أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1964م، ج3، ص151،

⁷ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص43.

⁸ يوسف بن تاشفين، تعود أصول يوسف بن تاشفين إلى قبائل صنهاجة في شمال إفريقيا، وهو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية ونمالي الصنهاجي الحميري، كان ذكياً كثر الاستغفار والدعاء، قام بالعديد من الفتوحات والإنجازات في دولة المرابطين. أنظر، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص252، أنظر، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، ط6، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ج3، ص437.

وهذا أول ظهور ليوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين وفي هذه الحملة تمكنوا من السيطرة على كل من تارودانت¹.

وماسة² وبلاد جزولة³ وسار المرابطون إلى أغمات⁴ عام (449هـ - 1059م) فأقاموا فيها لمدة شهرين⁵ ثم توجهوا إلى تادلة⁶ فاستولوا عليها وقتلوا من بها من بني يفرن⁷ ثم توجهوا لقتل البرغواطيين⁸ على أرضهم ووقعت بينهم وقائع شديدة⁹، ثم سار ابن ياسين إلى قتال زناتة¹⁰.

¹ تارودنت، مدينة مغربية في أقصى المغرب الأقصى. أنظر، أبو إسحاق إبراهيم ابن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني، قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق، عبد الله العلي الزيدون وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م، ص15 الهامش.

² ماسة، مدينة مغربية جنوب غرب أقادير بالسوس الأقصى. ابن عذراى المراكشي، البيان المغرب، ج 1، ص26.

³ بلاد جزولة، هي قبيلة عبد الله بن ياسين الأب الروحي للمرابطين، كانوا يقيمون ببلاد السوس مجاورين لقبيلة لمطة وكان بينهما عدا. أنظر، بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج2، ص202.

⁴ أغمات، ناحية في بلاد المغرب على أرض البربر تقع قرب من مراکش وهي ديتان متقابلتان كثيرة الخير وليس بالمغرب بلاد اجمع بهده الصفات ولا أوفر حظا منها. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص224.

⁵ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص43.

⁶ تادلة، تقع على وادي أم الربيع ويعرف إقليمها بفزاز، وبها تم تأسيس مدينة داي تبعد على أغمات 4 أيام، وبها المعدن الخالص، تبعد عن مدينة داي بمرحلة ومنها يحمل النحاس إلى سائر البلاد وبها يزرع القطن ومنها يسافر إلى كل الجهات و من أهلها. أنظر، الإدريسي، المصدر السابق، ص1، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص5.

⁷ بني يفرن، هم من بطون زناتة و أوسعها، ونسبهم هو بني يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديسك. ويفرن في لهجة البربر الفأر. أنظر، ابن خلدون، العبر، ج7، ص15. أنظر، ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق، هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2011م، ص ص1-10.

⁸ البراغواطيين، بطن من بطون المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وازمور .. وهم شعوب كثيرة متفرقة.

أنظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص280.

⁹ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص44.

¹⁰ زناتة، ينسبون إلى أبو الحسن بن علي بن عبد العزيز الزناتي وزناتة ناحية سرقسطة من جزيرة الأندلس. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص151.

نلخص في الأخير أن دولة المرابطين دولة مهيبة الأركان في المغرب والأندلس¹، حيث يبدأ بيداً تاريخهم في الجناح المغرب الأيمن أي الصحراء الغربية، وفي هذه الصحراء الشاسعة كانت قبائل صنهاجة التي ساهمت في بناء صرح هذه الدولة المتناسق، كما ساهم في ذلك زعماء يشهد لهم الفضل أمثال عبد الله بن ياسين ويحيى إبراهيم الجدالي الأساس الأول للقيام هذه الدولة وبفضل الملتمين وتشكلت النواة الأولى الممهدة لقيام دولة المرابطين في المغرب وانطوت تحت جناحها الأندلس أساسها الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، وكان يطلق عليهم اسم الملتمين لالتزامهم باللتام الذي كان يميزهم عن غيرهم.

¹ الأندلس، هي جزيرة كبيرة وقد كثر فيها الكلام في أصل تسميتها ، وأرجح القول أنها مشتقة من كلمة " الفندلس " وهم جيل من الناس كانوا يسكنون بين نهر الاودر ونهر القيسطول، ويقال أن أصلهم جرمانى وأن بعضهم من أصل سلافي أو صقلي وهؤلاء الفندلس زحفوا من الشمال إلى الجنوب حتى بلغوا جبل طارق 441 (ق م)، ومن هناك أجازوا إفريقية ولما عرفهم أهلها أطلق عليهم هذا الاسم نسبة للبلاد الذي جاؤوا منها وسموا هذه البلاد الأندلس أما المقري قال أن أول من سكن الأندلس قوم يعرفون الأندلس أي " القندال " وبهم سمي المكان أي أنهم عمروها، تتاسلو بها وتداولو حكمها، وكلامه قريب مما اجتمع عليه المحققين الآن. أنظر، شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار المراكشية، وهي معلمة أندلسية تحيط بكل ما جاء في ذلك الفردوس المفقود ، ط1، المطبعة الرحمانية ، مصر، 1355هـ - 1936م، ج1، ص32، أنظر، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دط، دار الصادر، بيروت، 1408هـ - 1988م، ج1، ص13.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: التركيبة العرقية والدينية في المجتمع المرايطي.

المبحث الأول: البربر.

المبحث الثاني: العرب.

المبحث الثالث: الأقليات الأخرى.

المبحث الرابع: أهل الذمة.

شهد عهد المرابطين عناصر متعددة من السكان وجنسيات مختلفة وفي مقدمة هذه العناصر البربر وهم يشكلون السواد الأعظم من عناصر للمجتمع، مع ذكر أهم القبائل الصنهاجية ثم العرب في المغرب والأندلس والمولدون وتطرفت إلى الأقليات الأخرى من الروم والصقالبة ومكانتهم في المجتمع مع التطرق إلى الطوائف المشكلة للمجتمع المرابطي والطائفة المسيحية واليهودية.

المبحث الأول: البربر

المطلب الأول: بربر المغرب

يعد البربر العنصر الأغلب من عناصر سكان بلاد المغرب في عهد المرابطين وعلى أكتافهم تأسست هذه الدولة وخاصة قبائل صنهاجة¹، فنجد اختلاف المؤرخين حول أصل ونسب البربر فمنهم من يذكر "أنهم من الأمم الماضية" أمثال ابن خلدون، و أنهم ولد إبراهيم عليه السلام² بينما يذكر: ابن حزم "أنهم من ولد حام بن نوح عليه السلام"، وادعت طوائف منهم نسبهم إلى اليمن إلى حمير³، أما بالنسبة لشعوب هذا الجيل اتفق المؤرخون على أنهم جذمان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوب البتر⁴ ويقال لشعوب برنس بن بر بن قيس بن علان يسمون البرانس وكلاهما ابن بر⁵، وأنهم ولد كنعان وأنه لما قتل ملكهم جالوت وتفرقت بنو كنعان قصدت منهم طائفة بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد هم البربر⁶.

¹ جمال أحمد طه، مدينة سلا في عصر المرابطين دراسة حضارية سياسية، دار الوفاء، الإسكندرية، ص153.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص117.

³ ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص495.

⁴ البتر، هم بدو رحل نزلوا بسلسلة من الأودية الرعوية. يمتازون بروحهم القتالية وامتداد قبائلهم عبر مناطق كبيرة في المغرب الأقصى والأندلس. أنظر، إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ص13.

⁵ البرانس، نكتفي بالقول أن البربر البرانس في عصر المرابطين والحقبة الوسطية عموما استقر معظمهم في المناطق الساحلية الممتدة على طول البحر عاشوا حياة الاستقرار والزراعة لذلك اشتد ارتباطهم بالأرض وهو ما يفسر مقاومتهم للاجتياح العربي إبان الفتح الإسلامي على حسن، المرجع السابق، ص293، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص293، أنظر، إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص13.

⁶ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص293.

وعلى العموم فإن البربر سواء البرانس أو البتر سكنوا المغرب الأقصى عامة في الحقبة المرابطية فالبرانس استقر معظمهم في المناطق الساحلية والجبلية وعاشوا حياة الاستقرار والزراعة وحُبهم للأرض، ولعل هذا كان سببا في مقاومتهم للعرب إبان الفتح الإسلامي¹.

أما البتر فهم البدو الرحل نزلوا بسلسلة من الأودية الرعوية وانتشروا في أقاليم النخيل حسب فصول السنة بينما أقام بعضهم في القرى الصحراوية، وبصفة عامة نقول أن البربر كانوا يتخذون البيوت من الحجارة والطين والشجر وأكثر لباسهم من الصوف².

ومع تضارب هذه الآراء تمكنا من استخلاص أن البربر كغيرهم من الأجيال التي عمرت الأرض طلبا للرزق وأنها اتخذت لها وطنا في أرض المغرب حيث تناسلت وتكاثرت وتكونت تلك الجموع الهائلة من السكان والتي اتخذت شكل قبائل³، سنتطرق إلى أهم قبائل المشكلة للمجتمع البربر: أول هذه القبائل صنهاجة:

أ- صنهاجة: تعد صنهاجة أهم القبائل المشكلة للمجتمع البربري ولم تكن صنهاجة مجرد قبيلة بل كانت شعبا عظيما⁴، حيث قال فيهم ابن خلدون كما سبق وأشرت إليهم في الفصل التمهيدي "لا يكاد يخلو قطر من أقطاره من بطن من بطونهم في جبل وبسيط"⁵. وتضاربت الآراء حول أصل صنهاجة وعن كيفية استقرارها في المغرب؟

أشار بعض المؤرخين⁶ إلى انتساب صنهاجة للعرب، وفي ذلك يقول: ابن زرع الفاسي "أن صنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير"⁷.

¹ عيسى بن الذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه، إشراف، أحمد شريفي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم تاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص23، عبد الوهاب المنصور، قبا ئل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ - 1968م، ج1، ص301.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص116، أنظر، أيضا عبد الوهاب منصور، المرجع السابق، ص ص 300-302.

³ حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص293.

⁴ حسن أحمد محمود، المرجع السابق ص36.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج6، ص179.

⁶ مؤلف مجهول، الحل، ص ص 7-8. أنظر أيضا، لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الأعلام، ج3، ص225. أنظر أيضا، الناصري السلاوي، الإستقصا، ج2، ص3.

⁷ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ج2، ص3.

يؤكد صاحب الحل: بعبارة هاته عن النسب العربي بقوله "وإنما تبريرت ألسنتهم لمجاورتهم البربر ومكوئهم معهم ومصاهرتهم إياهم"¹، و رجح ابن خلدون هذا النسب بقوله: "أنه لا خلاف بين نسابة العرب وأن شعوب البربر كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة"² يشار إليهم أنهم من اليمن وأن إفريقيش لما غزا إفريقية³ أنزلهم بها"، وربما هذا الترجيح بسبب تشابه في حياة العرب والبربر.

واحتلت قبائل صنهاجة مساحات واسعة من المغرب إذ امتدت من نول لمطه في جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان في إفريقية حيث أقاموا في المناطق الصحراوية⁴ وأطلق عن صنهاجة صنهاجة المغرب الأقصى المثلثون والتي ضمت من القبائل 70 قبيلة⁵، ومن هذه القبائل كما سبق سبق الذكر لمتونة، جدالة، مسوفة، لمطه، ومسرارة⁶.

ومع ابتعادهم عن تعاليم الدين كأنه لم يدخل بلادهم واستمروا في جهالتهم وطابع البداوة الذي يغلب عليهم⁷، وما كان يميزهم تتقلهم الدائم وعدم استقرارهم لاعتمادهم على نمط الرعي والانتجاع⁸ والانتجاع⁸ فهم لا يعرفون حرثا ولا زرا ولا ثمارا وإنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن⁹، بينما بينما ينزل سكان الجبل السهل الشتاء بحثا عن الكأ والمرعى ثم يعودون إلى قمم الجبال في أكواخ بنوها من قصب مغطى بعروش الأشجار¹⁰.

¹ مؤلف مجهول، الحل الموشية، ص19.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص98.

³ إفريقية، بكسر الهمزة وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها إلى جزيرة الأندلس والجزيرتان في شمالها فصقلية منحرفة إلى الشرق و الأندلس منحرفة إلى المغرب وسميت بأفريقية نسبة إلى إفريقيش بن أبرهة بن الزائش...أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص228.

⁴ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ج2، ص6، أنظر أيضا، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص128، أنظر، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص44.

⁵ ابن خلدون، العبر، ج6، ص180.

⁶ مجهول، الحل الموشية، ص ص6-7.

⁷ راغب السر جاني، المرجع السابق، ص466.

⁸ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس (الإدريسي)، صفة المغرب وأرض السودان مصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، نشر دوزيه ودي خويه، المطبعة الشرقية، ليدن، 1866م، ص88.

⁹ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص120، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص128.

¹⁰ ابن خلدون، العبر، ج6، ص117.

* فبصدد الحديث عن صنهاجة لا بد أن نتطرق إلى بعض القبائل الصنهاجية التي ساهمت في كثير من الأحداث خلال الحقبة المرابطية.

لمتونة: هي إحدى قبائل صنهاجة¹ وأعظم قبائل البربر والتي لها الزعامة والسيطرة على غيرها من القبائل، حيث دخلت تحت سلطة عبد الله بن ياسين وهذا ما أكسبها القوة والهيمنة² وهي أعظم القبائل البربرية وأكثر القبائل انضباطا وتضحية لذلك كان يكرمهم ويشرفهم³، وهي بدورها فرع من فروع قبيلة البرانس إذ كانت لها الزعامة والسيطرة على غيرها من القبائل، وكانت لمتونة تسكن منطقة تلي منطقة لمطة وجزولة وتمتد من وادي النون على المحيط الأطلسي حتى رأس بوجادور الحالية ومن الشرق من وادي نون تقع مدينة أزكي مسيرة سبعة أيام من وادي النون وهي حصن لمتونة ومقلها⁴، وكانت تؤثر حياة الفقر على حياتهم الأخرى فكانوا يعتمدون في قوتهم على اللبن ولا يعرفون لا زرا ولا حرثا ولا يأكلون الخبز وكانت مهنتهم الرعي ورأس مالهم الأغنام التي كانوا يعيشون على لحومها وألبانها⁵، وكانت لمتونة كسائر قبائل البربرية تدين بالمجوسية واستمر ذلك حتى ذاع الإسلام فيهم عقب فتح الأندلس، ولما انتقلت القبيلة من مواطنها الأولى متجهة إلى المغرب الأقصى أقاموا بالمدن واحتلوا بأرفع المناصب، حيث شاركت في بناء الدولة المرابطية وصارت لهم مكانة متميزة بين أبناء الطبقة الحاكمة وهي أسرة أبناء ابن تاشفين وصاروا يزاولون أنواعا مختلفة من الأنشطة سواء زراعية أو تجارية أو صناعية، ويضاف إلى ذلك انخراطهم في الحياة العسكرية سواء كان في المغرب أو الأندلس⁶، ومن هنا حرص ابن تاشفين على استدعائهم من مواطنهم والاعتماد عليهم في توجيههم الأمور، حيث يذكر ابن الخطيب "استدعاء يوسف بن تاشفين لهذه القبائل وما نالته من مكانه وثروة.

¹ أبي عبيد الله البكري، المغرب...، ص164.

² المصدر نفسه، ص164.

³ حامد خليفة، المرجع السابق، ص44.

⁴ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص45.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص171، ابن أبي زرع الفاسي، الأئيس المطرب، ج1، ص76، أنظر أيضا، مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة و مصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958م، ص213.

⁶ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص413.

ويقول: "بعث إلى يوسف بن تاشفين سنة 480هـ إلى الصحراء ولمتونة ومسوفة وجداله، فوفد إليه منهم جموع كثيرة وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال فاكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال"¹.

نظرا لدور الوساطة التجارية وفضلا عن قوة رجالها وعندما تحول المراتبون من دعاة إلى أصحاب السلطة والنفوذ أصبح لأفراد قبيلة لمتونة إذ استحوذوا على المناصب العليا في جهاز الدولة ومشاركتهم الفعالة في الحياة الاجتماعية، وبرز منهم القادة العسكريون والولاة ونواب الأمراء.

جدالة: هي شقيقة لمتونة يجمعها أب واحد²، إحدى القبائل التي لا تختلف عن قبيلة لمتونة، وأن أبناءها رحل ينتجعون المراعي ويعيشون في الصحراء³، من السودان وبلاد الإسلام⁴، تميزت بأهمية بفضل موقعها الذي احتلته في خط تجارة العبور تمتد مضاربهم من نهر السنغال متخذة مدينة أوليل مركزا لها وهي مدينة يكثر فيها الملح الذي تحمله القوافل من الشمال إلى الجنوب⁵، وكذلك بكثرة عدد واشتهرت بمعرفة أفرادها أنهم أكثر تميزا بقدرات عسكرية⁶ برزت جدالة مرحلة الدعوة ثم انتقلت الزعامة منها إلى لمتونة حظي بعض أفرادها بالمناصب العليا والمراكز الهامة في السلطة⁷.

لمطة: ومن بربر البرانس يذكر ابن خلدون قبيلة لمطة هيا أخت صنهاجة وليس لهم أب⁸ مع قبائل المراتبين وقيمون معهم⁹، هي إحدى القبائل الصنهاجية التي تحتل المنطقة الممتدة من جبل

¹ مجهول، الحل الموشية، ص 20.

² محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 300.

³ مؤلف مجهول، حل، ص 17، أنظر أيضا، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 28.

⁴ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 296.

⁵ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 46.

⁶ عصمت عبد اللطيف دندش، دور المراتبين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (434-515هـ / 1038-1123م) نشر وتحقيق

وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م، ص 36.

⁷ المرجع نفسه، ص 377، أنظر أيضا، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 297-298.

⁸ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 270.

⁹ أحمد طه، المرجع السابق، ص 155.

درن حتى وادي نول القريب من المحيط الأطلسي¹ كانوا يمتنون الرعي واعتمادهم في معشيتهم على لحوم الأغنام وألبانها² ويذكر الحميري واشتهرت لمطه بصناعة الدرق اللطمية³ وأهلها رجل وسميت نول لمطة⁴ وتعد هذه القبائل عماد وقوة المرابطون وتمكن الأمراء من صهر تلك القبائل بعضها ببعض مشكلة مجتمعا قوي الركيزة، تعد هذه القبائل أهم القبائل العناصر مهدت لنشأة دولة المرابطين⁵ انضمت في دعوة ابن ياسين ومشاركة في عملية الجهاد صارت لها مكانة ممتازة في المجتمع الجديد إذ شغل أبنائها بعض المراكز القيادية في دولة المرابطين⁶.

مسوفة: تعد هذه القبيلة من ضمن قبائل صنهاجة المشهورة⁷، التي كانت تمتد في المنطقة الصحراوية الممتدة بين سجماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب مما جعل لها الموقع الهام حيث تتحكم في مراكز العبور الأساسية لذهب السودان فضلا عن امتنانها مهنة الرعي واعتمادهم على لحوم الأغنام⁸.

ب- زناتة: يمثل الزناتيون العنصر الثاني من عناصر سكان المغرب الرجل خلال الحقبة المرابطية ويرجع النسابة أصلهم إلى كنعان بن حام⁹، وهم فرع من البتر من أولاد جاناتا بن يحيى بن مولاة بن مازيغ ومن أشهر قبائلهم بنو مغرواة¹⁰ وبنو يفرن¹¹ وبنو تاجين¹².

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 101. أنظر أيضا، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 44.

² مجهول، الاستبصار، ص 179.

³ الحميري، المصدر السابق، ص 23.

⁴ نول لمطة، عن بلاد السوس للمغرب الأقصى بينهما وبين وادي السوس الأقصى، ثلاث مراحل ومنهما إلى البحر ثلاثة الأيام وبينها وبين وسجماسة 13 مرحلة ومنها جزولة ولمطة ومدينة نول إحدى مدن الإسلام وهي مدينة كبيرة في الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط وعليه قبائل لمطة ولمتونة. أنظر، الحميري، المصدر السابق، ص 584، أنظر أيضا، مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 213.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 19.

⁶ محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 298.

⁷ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 160.

⁸ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 9.

⁹ ابن حزم، المصدر السابق، ص 495.

¹⁰ مغرواة، أوسع بطون صنهاجة وأكثرهم بأسا وغلبة. أنظر، ابن خلدون، العبر...، ج 7، ص 24.

¹¹ بنو يفرن، أكثر القبائل الزناتية وأشدهم شوكة. أنظر، المصدر نفسه، ص 11.

¹² بنو تاجين، يذكر ابن خلدون أنهم من شعوب بني يادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة وما كان لهم بالمغرب حيث يذكر مواطنهم أنها حفافي وادي الشلف قبلة جبال وتشريش بأرض السرسو..... أنظر، ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 205.

ومكالاته¹، ميزهم ترحلاهم الدائم إلا أنهم يشكلون نسبة قليلة للعناصر البربر، إلا أنهم كانوا يتميزون بشجاعتهم وفروسيتهم²، وكانوا أكثر القبائل البربرية الذين كانوا قابلين للتعريب لاحتكاكهم لاحتكاكهم بالعرب³، أما بالنسبة لموقعهم في النواحي الشمالية والشرقية خاصة تلمسان إضافة إلى إلى منطقة تامسنا⁴ وفي القرن الرابع هجري هجرة زناتية واسعة النطاق من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى تحت ضغط الفاطميين نكاية فيهم لتحالفهم مع الأموي الأندلس⁵.

المطلب الثاني: المصامدة

بالإضافة إلى عناصر أخرى تحتل بالصدارة بالمغرب الأقصى باعتبارها القبائل المؤسسة للعهد الجديد و ينتسب المصامدة إلى مصمود بن مادغيس⁶، يقول ابن خلدون: "ومن أبرز قبائل البرانس في المغرب الأقصى هو ما بين وادي ملوية⁷ من جهة الشرق إلى أسفي حائزة البحر المحيط وجبال درن"⁸ ويعتبر ابن خلدون أن المصامدة أن ديارهم هي المغرب الأقصى وذلك لكثرة لكثرة افتراشهم، ويحدد موقعهم ابن عذارى مراكشي: فحدد بلادهم أي المصامدة النهر الأعظم الذي يصب من جبال صنهاجة وينتهي إلى البحر الأعظم بحر أقيانس⁹ يدعى هذا النهر أم الربيع¹⁰.

¹ تلكاتة، هي بطن من بطون صنهاجة حيث صنفهم ابن خلدون إلى ثلاث طبقات الطبقة الأولى تمثلها قبيلة تلكاتة التي تولت حكم إفريقية والمغرب الأوسط نيابة على الفاطميين وكانوا كالدرع الواقى الذي تصدى للقبائل الزناتية...أنظر، بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ج2، ص74.

² إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص26.

³ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار البيضاء، دار السلطان، 1956م، ج1، ص33.

⁴ تامسنا، تقع بين المحيط الغربي وبين وادي أم الربيع على نحو ثلاث مراحل ، وهي قبائل متفرقة منهم برغواطة ومطاطة.. وكلهم أصحاب حرث و مواش و جمال وغالب عليهم الفروسية. أنظر، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ص236-237.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 26.

⁶ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص17.

⁷ وادي ملوية، يقع إلى وادي صاع فيجتمعان معا ويصبان في البحر ما بين جراوة ابن قيس ومليلة. أنظر، الإدريسي، المصدر السابق، ص247.

⁸ ابن خلدون، العبر، ج6، ص101.

⁹ محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه شرحه واعتني بيه، صلاح الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص340.

¹⁰ أم الربيع، نهر كبير ينبع من الأطلس بين جبال عالية في حدود تادلة وفاس.... أنظر، الحسن أبو محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص247.

وأخر بلادهم تسكنها لمتونة ومسوفه تحدها عرضا وتحدها طولا الجبل المعروف بدرن، ويقول ابن خلدون أن قبائل المصامدة يشكلون أعدادا كبيرة "لايحصيهم إلا خالقهم"¹، فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم وينقسمون إلى ثلاثة أقسام أهل جبل درن وبرغواطة² وتامسنا³ ثم غماره الريف⁴.

حرص المرابطون على كسب المصامدة في صفهم باعتبارهم يمثلون الغالبية من سكان المغرب الأقصى فعبد الله بن ياسين اجتمع لديه المال من الزكاة والأعشار بعث مقدرا كبيرا إلى طلبة المصامدة وقضاتها⁵، "وذلك لكسب ودهم واستمالتهم" مما جعل المصامدة يقفون مع المرابطين ضد حكام المنطقة الزناتيين⁶ وسار على نفس الوتيرة يوسف بن تاشفين إذ ضم مجموعة مجموعة كبيرة إلى جيشه⁷، ومكن ذلك من الاشتراك الفعلي في تأسيس صرح الدولة⁸، بعد بناء مراكش كان موطنهم محاذي موطنهم ولكسب ودهم وفي نفس الوقت لمراقبة تحركاتهم خوفا من الانقلاب على الدولة وخوفا من قوتهم فيقول ابن خلدون عن المصامدة ومدى تأثيرهم في المنطقة "بجبال درن عظيما وبأسهم قويا"⁹.

¹ ابن خلدون، المرجع السابق، ص222.

² اختلف المؤرخون حول أصل برغواطة فإذا رجعنا إلى المؤلف المجهول صاحب المفاخر البربر نجد أنه ينسب برغواطة إلى زناتة زناتة وذلك بقوله "كان ظهور برغواطة في 127 في خلافة هشام بن عبد الملك مروان....وهم في الأصل من زناتة وأخذ على ذلك مجموعة من المؤرخين من بينهم ابن الخطيب في كتابه الأعلام أما ابن خلدون قد كذب رأي بقوله "قد يغلط الناس في نسب برغواطة فيعدهم من قبائل زناتة وليس القوم زناتة ويشهد لمواطنهم لإخوانهم مصامدة. أنظر، مؤلف مجهول، نبذ تاريخية من كتاب المسمى بمفاخر البربر، نشر وتصحيح، ليفي بروفينسال، الرباط، 1934م، ص37، أنظر أيضا، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص181، ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص434-435، أنظر أيضا، سحر السيد عبد العزيز سالم، المغرب في العصر الإسلامي من جديد حول برغواطة هراطقة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص4.

³ تامسنا، يشير الوزان بموقعها التقريبي فيذكر: يبتدئ غربا عند أم الربيع وينتهي إلى أبي الرقاق شرقا والأطلس جنوبا وشواطئ البحر والمحيط شمالا حيث يبلغ طول تامسنا من الشرق إلى الغرب ثمانين ميلا ومن الشمال إلى الجنوب. أنظر، الحسن أبو محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص 194.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص29.

⁵ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس الفاسي، ج2، ص15، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 158.

⁶ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص300.

⁷ مؤلف مجهول، الحل، ص20.

⁸ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص300.

⁹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص225.

وظل اهتمام المرابطين بالمصامدة خشية قوة بأسهم حين أوصى يوسف بن تاشفين ولي عهده ألا يسيء لهم¹، أما بالنسبة لحياتهم ومعيشتهم فهم على عكس صنهاجي الصحراء كانوا يعتمدون على الرعي والانتجاع، أما المصامدة فاستقروا في مواطنهم امتنوا الزراعة وفلاحة الأرض فاستقروا بالمنطقة اتخذوا المعقل والحصون وشيدوا المباني والقصور²، واندرجت عدة قبائل هرغة³ وهنتاتة⁴ وتنمليل⁵ وكيدومة⁶ ودكالة⁷.

المطلب الثالث: بربر الأندلس

بربر الأندلس الذي ميزهم طابع الاستقرار الذي ميزهم واتخذوا مهنة فلاحة الأراضي في البوادي أو احترفوا الجندية المهنية في المدن تكون المجتمع البربري نتيجة تمازج أربع مجموعات. أول مجموعة: نتيجة للفتوحات التي جاءت مع موسى بن نصير⁸ يقول الإدريسي: أن الجزيرة الخضراء⁹.

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص225.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص223.

³ هرغة، وهم قبيل الإمام المهدي تلاشوا واندثروا مع الدعوة.. ولم يبق منهم إلا أوشاب وأخلاط أمرهم إلى غيرهم من رجالات المصامدة. أنظر، ابن خلدون، العبر، ج6، ص35.

⁴ هنتاتة، شيخهم أبو حفص عمر بن يحيى من صحابة الإمام والاعتزاز على المصامدة وكانت لهم دولة بإفريقية. أنظر، المرجع نفسه، ص360.

⁵ تنمليل، وهي عبارة على جبال شديدة البرودة إلا أنها تزدهم ب السكان وعلى قمة الجبل مدينة تحمل اسمه وهي كذلك عامرة ومزدانة بمسجد ويخترقها نهر جار وفيها دفن الداعية المهدي.. أنظر، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص149.

⁶ كيدومة، كيدومة كانت تبعا لهنتاتة و تنمليل بالأمر وجبلهم كان بصدف.. أنظر، ابن خلدون، العبر، ج6، ص364.

⁷ دكالة، بفتح أوله وتشديد ثانيه وهي بلد بالمغرب يسكنه البربر. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص459.

⁸ موسى بن نصير، هو بن عبد الرحمان بن زيد اللخمي، أبو عبد الرحمان فاتح الأندلس أصله من الحجاز من وادي القرى، كان أبوه نصير على حرس معاوية، نشأ موسى في دمشق وولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرس وبنى بها حصونا وخدم بني مروان، وولي لهم الأعمال فكان على خراج البصرة في عهد الحجاج، وغزا أفريقية في ولاية عبد العزيز بن مروان، ولما ألت الخلافة للوليد بن عبد الملك ولاه أفريقية الشمالية وما وراءها من المغرب سنة (88هـ) فأقام في القيروان. لتفصيل أنظر، الزركلي، الأعلام، ج7، ص330.

⁹ الجزيرة الخضراء، مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر سبنة وأعمالها متصلة بشذونة وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة وهي من أشرف المدن أرضا وسورها يضرب بيه ماء البحر.. أنظر، المصدر نفسه، ص136.

أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام وافتتحها موسى بن نصير من قبل المروانيين¹ وقبائل البربر².

- أما المجموعة الثانية: جلبها المنصور بن أبي عامر³ للخدمة في الجيش.
 - بينما المجموعة الثالثة: صنهاجة اللثام اللذين تم استدعاؤهم لردع الخطر النصراني⁴.
 - المجموعة الرابعة: البربر العدو تدفقوا خلال الفترة المرابطية ذاتها عبر هجرتين:
- الهجرة الأولى في:(515هـ-1121م) نحو قرطبة⁵، وكل ما نعلم من هذه الهجرة أنها جاءت مباشرة بعد بداية حركة المهدي.

أما الهجرة الثانية: كانت في (553هـ-1158م) تميزت بكثافة المهاجرين⁶ ووصفها ابن عذارى بالانجلاء العظيم للأندلس⁷.

ويمكن أن نفسر ظاهرة الانجلاء هاته جراء انعدام الأمن أو من المجاعات في أواخر العصر المرابطي ومما نلاحظه أن قسما منهم سكن البادية وامتنعوا حلب البقر وزراعة القمح والرعي وخدمة الفحم والخشب، وقسم منهم سكن الحواضر واشتغلوا صفر الحلفاء وخدمة الأوعية والصيد⁸.

¹ المروانيون، هم الأمويون الذين كانوا بالأندلس وذلك بداية من نسبهم لمروان بن الحكم المؤسس الفعلي للدولة الأموية. أنظر، فواز علي بن جنيدب الدهاس، مروان بن الحكم المؤسس الفرع المرواني في الدولة الأموية، جامعة أم القرى، 2004م، ص10.

² الإدريسي، صفة المغرب، ص176-177.

³ المنصور بن أبي عامر(326-392هـ)، هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر أبي الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني المعروف بالمنصور ابن عامر أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي أصله من الجزيرة الخضراء....أنظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج6، ص226.

⁴ عصمت دندش عبد اللطيف، المرجع السابق، ص260-261.

⁵ قرطبة، بضم أوله وسكون ثانيه ووصم الطاء المهملة أيضا و الباء الموحدة كلمة فيها أحسب العجمية والعربية وهي مدينة عظيمة من الأندلس وبها كانت ملوك بني أمية وبينها وبين البحر خمسة أيام وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص324، أنظر أيضا، ابن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص153.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص35.

⁷ ابن عذارى المراكشي، بيان المغرب، ج4، ص94.

⁸ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص36.

فكان لمجئ المرابطين دور في زيادة العنصر البربري وزيادة نفوذه بعد أن كان أقلية ينظر إليه نظرة استعلاء، فانعكست الأوضاع وأصبحوا هم السادة وكانوا يأنفون من الخضوع أحكام القضاء¹.

حصيلة القول أن الوجود المرابطي خلف نتائج على بربر الأندلس تتجلى في ازدياد أعدادهم لمواجهة القوى النصرانية واستقرارهم في مناطق الثغور وكذلك الهجرات التي شهدتها العهد المرابطي من المغرب الأقصى إلى الأندلس استقروا في غرناطة² وقرطبة وقال فيهم ابن الخطيب: "أن فيهم بربر المهاجرة كثيرة"³، الشيء الجدير بالذكر أن البربر شكل السواد الأعظم في المغرب الأقصى، وشكل عددا لا يستهان به في الأندلس وبروز صنهاجة كأهم قوة اجتماعية من بين عناصر السكان.

¹ ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص98، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص413.

² غرناطة، يفتح أوله ويسكون ثانيه ثم نون بعد الألف المهملة، ومعنى غرناطة الرمانة بلسان عجم الأندلس سمي بذلك لحسنه بذلك، وقال الأنصاري أنها أقدم مدن كورة البيرة، من أعمال الأندلس وأحسنها، يشقها النهر يدعى قلزم قديما وحدها حديثا ييقط منه سحالة الذهب الخالص وعليه أرحاء كثيرة.... أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص195.

³ لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي، المصدر السابق، ج1، ص14.

المبحث الثاني: العرب

المطلب الأول: عرب المغرب

هم العنصر الثاني من سكان المغرب بحيث كانوا يشكلون نسبة قليلة مقارنة بوجودهم في الأندلس، وكان لهم الظهور في المنطقة إبان الفتح الإسلامي فمُنذ أن أصبح المغرب ولاية تابعة للخلافة في المشرق، فساهمت بعض العوامل الوفود إليه منها ما شاع في الشرق عن خيراته من معادنه وسكره وجمال نسائه ومن القبائل العربية التي دخلت المغرب استقرت في مدنه الشمالية¹ على السبيل المثال: بنو هاشم² وبنو عدي³ وبنو سهم⁴ وبنو أمية⁵ وغيرهم⁶، غير أن توافد العرب بشكل رسمي بدأ منذ عهد الأدراسة⁷ ففي عهد المولى إدريس الأكبر⁸ وفد العديد من الأسر الأندلسية والقيروانية⁹ على فاس¹⁰ وفي عهد إدريس الثاني¹¹ سنة (202هـ-817م) وفي تلك الفترة جرت ثورة الرض مما نتج عنها جلاء عرب الأندلس نحو العاصمة الإدريسية¹².

¹ بن منصور، المرجع السابق، ص376.

² بنو هاشم، بن عبد مناف بن قصي، فولد عبد مناف بن قصي عمرو وهو هاشم، وفيه العدد والشرف والمطلب وعبد شمس ونوفل أمهم عاتكة بمن مرة بن هلال بن فالح. أنظر، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص14.

³ بنو عدي، بن كعب بن لؤي، ولد عدي بن كعب رزاح (بفتح الراء والزاء) وعويج، وولد رزاح قرط، وولد قرط عبد الله فولد عبد الله تميم وصادد.. لتفصيل أنظر، المصدر نفسه، ص150.

⁴ بنو سهم، ولد سهم بن عمرو سعيد وسعد، فمن ولد سعيد (بضم السين وفتح العين) بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ومنهم عمرو بن العاص فاتح مصر.. أنظر، المصدر نفسه، ص163.

⁵ بنو أمية، بن عبد شمس بن عبد مناف.. لتفصيل أنظر، المصدر نفسه، ص78.

⁶ علي الجزنائي، جني زهرة الآس في أخبار مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1976م، صص17-18.

⁷ الأدراسة، هم بنو إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، لتفصيل أنظر، ابن حزم، المصدر السابق، ص49.

⁸ إدريس الأكبر، إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدراسة في المغرب و إليه نسبتها. أنظر، الزركلي، الأعلام، ج1، ص279.

⁹ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص38.

¹⁰ فاس، بالسين المهملة وهي مدينة مشهورة وكبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش.. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص430.

¹¹ إدريس الثاني، إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ثاني ملوك الأدراسة في المغرب الأقصى وباني مدينة فاس ولد في ويلي توفي أبوه وهو جنين تولي.. أنظر، الزركلي، الأعلام، ج1، ص278.

¹² ابن عذراي، بيان المغرب، ج4، ص28.

واستمرت الهجرات خاصة المدن التجارية منها سجلماسة استقروا فيها تجار¹ من البصرة²، أما خلال القرن الخامس يبدو أنهم انتشروا في المدن الساحلية فيؤكد البكري³، أن عناصر عربية تقيم في مدينة سبتة⁴، وكان يسود الأمن والاستقرار خاصة في عهد يوسف بن تاشفين مما جعله عاملا لاستقطاب العرب وناهيك عن انتعاش المجال الحرفي والصناعي والتجاري توافد الأسر العربية الأندلسية على المغرب الأقصى⁵، وكانوا بأمس الحاجة لاستقطاب الخبرات هاته ويشير الجزنائي أن يوسف بن تاشفين استقدم أحسن الصناع لبناء عدد من الأرحاء⁶، وأكد الإدريسي أنه جلب أمهر الأندلسيين لبناء قنطرة تاشفين⁷.

ويشير ابن الأحمر أن من الأسر العربية التي سكنت فاس كآسرة بني حسين وهم من عرب كنانة وكان من عرب الخزرج أسرة بني عشرين⁸ ومن العرب القيسيين، أسرة السلاجي، وغيرها من الأسر⁹، وكذلك استقبلت مكناس بدورها عائلات أندلسية¹⁰.

انتشرت بيوت عربية بسبته كبيت بني صقر¹¹، وانتشرت المجموعات العربية واختلطت مع العنصر البربري¹²، وعلى الصعيد الرسمي توافد على المغرب العديد من عرب الأندلس للعمل في ميادين مختلفة منها المجال الإداري والقضائي خاصة الوزراء منهم في عهد يوسف بن تاشفين

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 65.

² البصرة، بلد في المغرب في قضاء السوس خربت قال فيها ابن حوقل: والبصرة مدينة مقتعدة بها سور ليس بالمنيع وأهلها سلامة وأهل الخير وعليها عيون وبساتين يسيرة وطول القامة واعتدال الخلق وبينها وبين فاس أربعة أيام....أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 430.

³ أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 103.

⁴ سبتة، بلد مشهورة من قواعد بلد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو بين سبتة والجزيرة أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 182.

⁵ ابن خلدون، العبر...، ج 3، ص 956-957.

⁶ الجزنائي، المصدر السابق، ص 42.

⁷ الإدريسي، وصف إفريقية الشمالية، ص 69.

⁸ بني عشرين، وهم من عرب الخزرج، الأنصار التي تساوي في مدحهم الإطناب والإختصار..أنظر، العباس بن إبراهيم السملالي، ج 6، ص 322.

⁹ ابن الأحمر، بيوتات فاس، تحقيق، عبد الوهاب بن منصور، دار منصور للطباعة، الرباط، 1973م، ص 19.

¹⁰ ابن حزم، المصدر السابق، ص 368.

¹¹ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 179.

¹² أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 103.

مثل مهيب بن مالك وتوافد على مراكز الشعراء منهم والأدباء ورجال العلم الأندلسيون، وفي هذا الصدد يقول المراكشي: عن الأمير على يوسف ولم يزل أمير المسلمين أول من يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس واجتمع له ما لم يجتمع للملك المعصب¹، وفي فترات الضعف شهدت هجرات أندلسية نحو المغرب مثل بني حمدين، استوطنوا سلا²، أما من جهة المشرق فظهر عنصر جديد في هاته الحقبة يطلق عليهم عرب الهلالية، بدأ التفكير في استقدامهم منذ ملوك الطوائف لإنقاذ الأندلس إلا أن تخوفهم من سيطرتهم وغزوهم مما جعل بعض المؤرخين ينفون وجودهم في المغرب³، إلا أن بعض المصادر لم تخف مشاركتهم ليوسف أثناء جوازه الثاني للأندلس سنة (490هـ - 1096م) ومشاركتهم في معركة كنشرة⁴، والغالب من الظن أنهم لم يكونوا يكونوا في الجيش المرابطي بصفة عامة بل ظهورا كمتطوعة فحسب ورغم أقليتهم إلا أننا لا يمكن تجاهل تواجدهم سواء في المغرب أو الأندلس⁵.

المطلب الثاني: عرب الأندلس

ضمت الأندلس نسبة عالية من العرب استقر معظمهم في المدن والبادي⁶، ويمكن أن نعتبر هاته هاته العناصر هي امتدادا للعرب الفاتحين الذين تركزوا بسبب الموارد الزراعية وهم بدورهم ينقسموا إلى قسمين: بنو هاشم الذين وفدوا إليها من الحجاز واليمن والعراق⁷ والشام⁸.

¹ لتفصيل في سبب قدومهم أنظر، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 307-308.

² سلا، مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور إلا مدينة صغيرة يقال لها غرنطيف ثم يأخذ البحر ذات الشمال و الجنوب وهو وهو بحر المحيط فيما يزعمون وعلى ساحل الجنوب مدينة السودان... أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 231.

³ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 141.

⁴ ابن الكردبوس التوزري، تاريخ الأندلس قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، نشر وتحقيق، أحمد مختار العبادي، صحيفة صحيفة الدراسات الإسلامية، مدريد، 1966م، ص 108.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 42.

⁶ أنظر، ملحق رقم (2) مواطن القبائل العربية في الأندلس، ص 117.

⁷ العراق، العراقان الكوفة والبصرة سميت بذلك وسميت بعراق القرية وهو الحرز المثني الذي في أسفلها أي أنها أسفل أرض العرب... أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 93.

⁸ الشام، بفتح أوله وسكون همزته وردت عدة أقوال سبب التسمية فيقال أن قوما من كنعان خرجوا من عند التفريق أي أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام بذلك وقال آخرون منهم سميت بالشام: بسام عليه السلام بن نوح وذلك أول من نزلها فجعلت السين شيئا لتغيير اللفظ العجمي أما طولها من فرات العريش المتاخم للديار المصرية أما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم... أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 311.

الفئة الثانية: من سادات العرب ومواليهم¹، أما بالنسبة إلى ما يميزهم عملوا على تخفيف العصبية القبلية وأصبح العرب يتناسون أصولهم المشرية ويتخلون عن كل المظاهر، من بينها حياة البدو والتأثير القبلي الذي خيم عليهم في شبه الجزيرة العربية²، ولم يتغلغل نفوذ المراتبين في أواسط سكان الأندلس ويمكن القول أنهم لم يؤثروا كثيرا في التركيب باستثناء الأسر الصنهاجية التي استقدموها وأحلوها بمناطق الثغور، إلا أن الوجود النصراني أدى إلى جلاء الكثير من العائلات العربية اتخذت اتجاهها من الشمال إلى الجنوب فنجد مهاجرة 50 ألف إثر احتلال طليطلة³، ويذكر ابن الآبار: حين سيطر النصارى على بلنسية⁴ خرج جماعة من أهلها فارين بدينهم، ومن أهم القبائل العربية التي استقرت في الأندلس يقدمها ابن حزم على سبيل المثال بنو القليعي بقرية

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص42.

² المرجع نفسه، ص246.

³ طليطلة، أكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الطاء الأولى وفتح الثانية وهي مدينة كبيرة في الأندلس محمودة يتصل عملها بعامل بحار الحجارة من أعمال الأندلس وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق قرطبة وكانت قاعدة القرطبيين ..أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص39.

⁴ بلنسية، السين مهملة مكسورة وباء خفيفة وهي كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير وهي شرقي تدمير وشرقي وشرقي قرطبة وتعرف بمدينة التراب و تتصل بها مدن تعد في جملتها. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص490.

قرب مالقة¹ والأصبحيون وبنو حمدين² بقرطبة وبنو هذيل³ في تدمير⁴ وبنو زهرة⁵ باشبيلية⁶. وبنو عطية بقرطبة وبنو عبد البر بشقورة⁷، وما نلاحظه أن أسماء القبائل تتوافق مع أسماء الأدباء والفقهاء الذين ظهرُوا في الحقبة المرابطية، ونلاحظ أن أهم المدن التي تتمركز كلها خطوط رئيسية للتجارة، ويصف ابن الخطيب العرب قائلا: "..صورهم حسنة، و أنوفهم معتدلة غير حادة، وشعورهم سوداء مرسلّة، وأنسابهم العربية ظاهرة يكثر فيها القرشي والفهري والأموي والأنصاري والأوسي والقحطاني والحميري.."⁸.

المولدون:

إضافة إلى عنصر البربر والعرب نجد عنصر ثالث وهو المولدون الذي يشكل جزء كبير من سكان الأندلس، يطلق عليهم المولدون وهم المنحدرون من أصل إسباني واعتنقوا الإسلام أو ول من أب مسلم فانشؤوا على الديانة الإسلامية ترجع أصولهم إلى الجالقة والقشتاليين والأراغونيين واليهود استقروا في الأندلس قبل فتحها⁹، يذكر المؤرخون أن بعض المولدين سكنوا البادية احترفا مهن تتجلى في تربية المواشي والزراعة بينما يتولى سكان البادية غراسة الأشجار والفواكه وقطع الخشب

¹ مالقة، بفتح اللام و القاف وهي كلمة أعجمية وهي مدينة من الأندلس ومن أعمال رية عامرة سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية..نسب إليها من أهل العلم كالعزيز بن محمد اللخمي المالقي..أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص43.

² بنو حمدين، هم ذرية حمدين بن محمد التغلبي قاضي قرطبة دعي له بالإمارة أيام المرابطين لعدة أيام. أنظر، ابن بشكوال، الصلة، ج1، ص43.

³ بنو هذيل، من مديونة وفي مديونة كان بها منهم كان ثابت المديوني، خال بن ذي نون، والأمراء المعروفون في بنو هذيل من شنت برية، ليسو بني رزين، لأن بني رزين على الأغلب هم من هواره. لتفصيل أنظر، ابن حزم، المصدر السابق، ص ص 449-500.

⁴ تدمير، كورة بالأندلس تتصل بأحواز جيان وهي شرقي قرطبة ولها معادن كثيرة ومعامل ومدن وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد و تسير أربعة عشر يوم للعساكر.. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص19.

⁵ بنو زهرة، وهم بنو عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمان بن عوف ومنهم أمنة بنت وهب، ومن بينهم عبد الحارث بن زهرة ولد الأزهر وعوف، فولد الأزهر المطلب وطليب، من مهاجرة الحبشة وماتا هناك.. لتفصيل أنظر، ابن حزم، المصدر السابق، ص ص 131-132.

⁶ أشبيلية، مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة 3أيام، وهي كبيرة عامرة ولها اسوار حصينة، أنظر، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص18.

⁷ شقورة، مدينة بالأندلس شمالي مرسية وبها كانت دار إمارة همشك أحد ملوك تلك النواحي و ينسب إليها عبد العزيز بن علي بن موسى الغافقي يكنى أبا الأصبغ.. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 356.

⁸ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص ص 134-135.

⁹ لطفي عبد البديع، الإسلام في إسبانيا، القاهرة، 1958م، ص24.

بينما احترف آخرون صيد السمك وصناعة السفن يقول ابن حزم العارف بأحوال المولدين يلاحظ بأن بعضهم يتخذ لنفسه أسماء عربية وادعى النسب الشرقي، وتوجد بعض الأسر المولدية بأسمائها الإسبانية مثل بني شيركيو وبني قيسى¹ وبني بشكوال² وكلهم عاشوا في الحقبة المراتبية المراتبية وكان لهم في الأمور العسكرية أيضا حيث شهد لهم أخبار ماثورة في الثورات على الحرب في الحقبة الأموية لكن على عصبيتهم التي غذتها طبيعتهم الاجتماعية المتدهورة تمكنوا من تأسيس إمارات طائفية في عصر ملوك الطوائف غير أن الاجتياح المراتبي أتى على جل إماراتهم باستثناء بعض الإمارات الثغرية كإمارة بني هود وكانت لهم في أواخر هذا العصر ثورات مولدية كثرة ابن قيسى³.

¹ بنو قسى، كان قسى من ولاية القوط وأسلم بعد فتح الأندلس، على يد الوليد بن عبد الملك وكان ينتمي إلى ولائه، ولذلك كان بنو قسى في أول مرة، فكانت حين تحل العصبية بين اليمانية والمضرية، يكونوا في جملة المضريين. لتفصيل أنظر، ابن حزم، المصدر السابق، ص502.

² بنو بشكوال، من الخرج من الأنصار وخرج منهم عدد من المؤلفين في مراكش مثل ابن بشكوال الذي لم نكن نعرف على نسب أجداده شيئا.. أما والده فكان من أعيان البلاد ومن أهل الخير والصلاح. أنظر، ابن بشكوال، الصلة، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، دارالكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ - 1989م، ج1، ص5.

³ عن هذه الثورة أنظر، أنظر، عبد الله عنان، عصر المراتبون في المغرب والأندلس، القاهرة، 1964م، ص307.

المبحث الثالث: الأقليات

وهي العناصر التي شكلت نسبة قليلة من مجموع السكان وجاءت من مناطق بعيدة كالصقالبة والروم والأغزاز واستقروا بالمغرب الأقصى في العصر المرابطي وكانوا وجودهم بالمنطقة لسببين إما الاتجار والاستقرار وذلك لما كانت تنعم به البلاد من خيرات أو للسبب الثاني: عن طريق شرائهم من طرف الأمراء للاستعانة بهم وسنتطرق في البداية إلى الصقالبة والروم:

المطلب الأول: الصقالبة والروم

أطلق الجغرافيون العرب اسم الصقالبة على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخزر بين القسطنطينية وبلاد البلغار، وهم ينسبون إلى قبيل من ولد يافث¹، ويذكر ابن عبد البر ديانتهم ثم يقول أن الصقالبة من أمم كثيرة منهم المجوس ومنهم النصارى²، عاشت فئة منهم في المغرب الأقصى نتيجة لمعارك التي خاضها المرابطون بالأندلس والتي خلفت منهم الأسرى فاستغلوا من طرف الأمراء وخاصة في الجانب العسكري للاستفادة من خبرتهم³ وقد برزت صلتهم بالمغرب

¹ لطفي عبد البديع، المرجع السابق، ص36.

² ابن حوقل، المصدر السابق، ص160.

³ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص223.

الأقصى حين أراد يوسف بن تاشفين شراء جماعة منهم بلغت المائتين وخمسين فارسا ليكونوا حرسا له¹.

لعب الصقالبة دورا مهما في المجتمع الأندلسي إذ تمكن بعضهم من احتلال مكانة اجتماعية كما تمكنوا من الحصول على ثروات هائلة واحتياز العقارات² "معناه عبد أو رقيق³، وهو المعنى " Esclave " ويرجح اسم الصقالبة إلى اسم فرنسي قديم نفسه الذي استعمل فيه الأندلس إذ صار يطلق أولا على أسرى الحروب الذين كانوا يأسرهم الجرمان والسكندنافيون ويبيعونهم للأندلس⁴، ثم اتسع هذا الاسم فأصبح يطلق على كل من لازم المسيحية، فجرت العادة على شرائهم صغارا حتى ينشأوا على الولاء التام للأمير والخليفة فيكسبوا ثقته وأول من استخدمهم الحكم الربضي فكثر أعدادهم في الحقبة الأموية التي بلغت 15 ألف في قرطبة⁵، واختلفت تسميتهم: وهناك من يسميهم بالارستقراطية، والعبيد⁶.

ونلاحظ خلال العصر المرابطي أن كلمة الصقالبة اختلفت المصادر التاريخية التي أصبحت تستعمل استبدلت بمصطلح الروم، والحشم والعلوج وأحيانا الفتيان وأصبحت تتقدم هاته القوة البشرية من قشتالة وأرغون، إلا أن هناك غموض حول بداية ودخول هؤلاء إلى المغرب والأندلس في الحقبة المرابطية؟ في عهد يوسف أو عهد ابنه علي؟

ونجد في ذلك تضارب الروايات: نجد ابن عذارى يذكر: أن يوسف بن تاشفين اشترى جملة من العلج⁷ ثم بعد ذلك يقول بأن علي بن يوسف⁸ هو أول من أستعملهم، ويذكر إبراهيم القادري

¹ مجهول، الحلل الموشية، ص13، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص324.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص39.

³ أحمد المختار العبادي، الصقالبة في الأندلس، معهد المصري للدراسات الإسلامية، 1953م، ص8.

⁴ المرجع نفسه، ص9.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص46.

⁶ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص38.

⁷ ابن عذارى، المصدر السابق، ص23.

⁸ علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمه أم ولد رومية اسمها منو وتكنى بأُم الحسن مولده بسبته سنة 477هـ، ببيع له بعد وفاة أبيه بمراكش لقب بأمير المسلمين ببيع 23 سنة وملك من بجاية إلى آخر بلاد السوس وملك في القبلة من سجلماصة إلى جبل الذهب في بلاد السودان وملك بلاد الأندلس شرقا وغربا ومن الجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة، خطب له على ألفي منبر وثلاثمائة منبر وملك من البلاد ما لم يملكه والده. أنظر، عباس بن إبراهيم السملالي، المصدر السابق، ج9، ص44.

القادري أن يوسف اشترى جملة منهم بلغت 240 فارساً مع بعض الجواري¹، ويقول ابن عذارى "وأركب الجميع فغلظ حجابيه وعظم ملكه" وهو ما أفسره أنه تم هذا الشراء لفرض هيمنته وسلطته وازدياد نفوذه².

أما علي فاستعملهم في وظائف الدولة بما فيه من جباية الضرائب وقيادة الجيش حتى أن عددهم بلغ في الأندلس 4 آلاف سنة (538هـ - 1143م)، استعملهم في حراسته ثم استخدمهم ابنه في جيشه لاستغلالهم بتقنياتهم العسكرية، إذا أن البربر كانت طريقتهم في القتال أنهم يعتمدون على الكر والفر.

أما المسيحيون فكانوا يعتمدون على الثبات فرما كانوا يصدد الاعتماد على الطريقة ذاتها لمواجهة، والشيء الجدير بالذكر أن البعض منهم اعتنقوا الإسلام، وكان البعض منهم مخلصاً لهم والبعض تمكنت الخيانة من نفوسهم³.

المطلب الثاني: الأتراك والأغزاز

هم جنس من الترك بلادهم في أقصى المشرق على تخوم الصين⁴ واستعان المراتبون بهم في جيوشهم⁵، تختلف الروايات حول وجود العنصر التركي ضمن سكان المغرب والأندلس فابن زرع الفاسي والناصري يؤكدان أن يوسف بن تاشفين أدخل الأغزاز ضمن جيشه⁶.

بينما دخولهم لم يبدأ إلا في عهد الخليفة الموحي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن⁷ سنة (574هـ - 1178م)، ولا نعرف عن الأدوار الاجتماعية والاقتصادية مما نرجح أن عددهم

¹ مؤلف مجهول، الحل، ص25.

² ابن عذارى، المصدر السابق، ص 23.

³ إبراهيم حركات، المصدر السابق، ص ص222-223.

⁴ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص325.

⁵ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس، المصدر السابق، ج2، ص40، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص223.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 120، الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص28.

⁷ أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي أبو يعقوب أمير المؤمنين من ملوك دولة لموحدين في مراكش وهو ثالث فيهم ولد بتمنليل بويغ له بأشبيلية وبعد وفاة أبيه بويغ له البيعة العامة بمراكش..أنظر، الزركلي، الأعلام، ج8، ص218.

كان قليلا ضمن عناصر المجتمع المرابطي، إلا أنه يقدر في عهد علي بن يوسف حوالي مليون¹.

المطلب الثالث: السودانيون

اختلفت تسميتهم حسب المؤرخون: فنجد ابن خاقان ينعتهم بالزنوج ويعتبر أقدم مؤرخ ذكرهم²، أما أبو حامد الغرناطي فيسميهم "قوقو"³، أما ابن القطان فسماهم: "جناوة"⁴ استخدم المرابطون في جيوشهم وتنظيماتهم العسكرية وصاروا يكونون فرقة من فرق الجيش⁵.

وقد بدأ هذا الإجراء أمير المسلمين حين عزم على توطيد نفوذه وسلطانه اشترى مجموعة منهم بلغوا ألفين كي يكونوا حرسا لهم⁶، وما يبدو أنهم تكاثروا وتزايدوا بالمدن المغربية، حتى أن الأمير المسلمين علي بن يوسف حين عزم على تجهيز حملة كبيرة لمواجهة ابن رزمير⁷ بالأندلس أمر أن أن يجهزوا عددا من السودانيون بسلاحهم للاشتراك في الحرب فيذكر ابن القطان، سنة(523هـ-1128م)، وصل إلى علي بن يوسف خبر من مدينة بلنسية أن ابن رزمير على الخروج إلى بلاد المسلمين فخشى أن تكون حركته التي كانت في سنة عشر بين قسط أهل فاس 300 غلام من سودانيون برزقهم وسلاحهم يخرجون من أموالهم ففعلوا⁸، إضافة إلى مشاركتهم في معركة زلاقة حيث بلغ عددهم أربعة آلاف⁹، مما يؤكد أن السودانيين استخدموا بعدد لا بأس به في الجيش المرابطي¹⁰ كما برزت نساؤهم في طبخ الطعام لذلك كانوا يشترون النساء منهم الاستفادة من مهاراتهم.

¹ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص326.

² إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص49.

³ أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق، إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للتراث، 1989م، ص43

⁴ أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما خلف من الزمان، نشر، محمود علي مكي، المطبعة المهدية، ص118.

⁵ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص37، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص222.

⁶ مؤلف مجهول، الحل، ص13.

⁷ ابن رزمير، 435-455هـ وهو ملك أراغون أراضي سرقوسطة عام 455هـ طلب أميرها المقتدر بن هود العون من حليفه فرديناند فرديناند الأول الذي هب إلى نجدته ووقعت معركة عند بلدة جراودس.. أنظر، العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية عصر ملوك الطوائف 5/هـ 11م.

⁸ ابن القطان، المصدر السابق، ص109.

⁹ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص118.

¹⁰ أحمد طه، المرجع السابق، ص162.

يذكر صاحب الاستبصار في مدينة أودغشت يجب منها سودانيات محسنات تباع الواحدة بمائة دينار وكذلك استخدامهن كجوار لإعتدال أجسامهن¹.

في الختام نقول أن السودانيين شكلوا شريحة من شرائح المجتمع المراتبي رغم قلتهم وكانوا وثيقي الصلة سواء بنظام المراتبي ونستج ان دور هذه الفئة في الخدمة الجيش او خدمة العناصر الأخرى من المجتمع، وهذا ما يلمح إلى الطبقية.

المبحث الرابع: أهل الذمة

لم يحظ أهل الذمة في المصادر التاريخية سوى معلومات قليلة على الرغم من المكانة التي احتلوا في تاريخ المجتمع فنلاحظ عزوف العرب عن التأريخ لهم ولم يشر إليهم سوى بكلمات²:
أهل الذمة لغة: تعني العهد والأمان والكفالة والحق³.

أما في الاصطلاح: يقصد بها أهل الذمة غير مسلمين يؤدون الجزية وبمقتضى التزامهم لأحكام الإسلام وقوانينه مقابل إقامتهم⁴.

عاشوا تحت حماية المراتبين كطوائف من المسيحيين واليهود الذين تم استخدامهم في الجيش أدخلوا المغرب والأندلس كتجار مقسمين ولا تقتصر على أهل الذمة الذين عاشوا تحت حماية دولة المراتبين بل يشمل كذلك الطوائف الأخرى من المسيحيين واليهود الذين تم استخدامهم دون

¹ مجهول، الاستبصار، ص216.

² أبو الفضل جمال الدين الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، تحقيق ومراجعة، عامر أحمد حيدر، عبد المنعم خليل، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2002م، مج12، ص258.

³ المصدر نفسه، ص221.

⁴ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص47.

أن يخضعوا لأحكام أهل الكتاب وظلوا يمثلون طائفة مستقلة بشؤونها أو مرتبطة بالأمراء عن طريق الخدمات التي كانوا يقدمونها لهم سواء في الميدان السياسي أو الاقتصادي¹.

المطلب الأول: الطائفة اليهودية

تواجدهم في المغرب الأقصى والأندلس:

أ-المغرب : وجدت طائفة اليهود قبل الفتح في المغرب والأندلس²، وقبل الحديث عن أماكن تواجدهم وعن وضعيتهم الاجتماعية والدينية لا بد من الإشارة إلى قلة المادة العلمية عن هاته الطائفة فمن الروايات التي تذكر أن اليهود هاجروا سنة (628م) من اليمن نحو العراق وسوريا وإفريقيا الشمالية واتجهت مجموعات منهم من المغرب الأقصى³، وانتشر في عدد من مدن المغرب الأقصى وتشير المصادر أن إدريس الأول⁴ لما أراد بناء مدينة فاس اشترى الموضع الذي أراد أن يبني فيه مدينته من اليهود بمبلغ خمسة آلاف وخمسمائة درهم⁵، لما شرع في فتوحاته بدأ بتأمسنا التي أخضعها للإسلام⁶، ومن أماكن تركزهم "بفاس" الذي وصفها ابن عذارى: "أكثر بلاد بلاد اليهود"⁷، وتمركزوا كذلك في: مكناسة⁸، أغمات وإيلان⁹، سجلماسة¹⁰، وأشار ابن عذارى: إلى وجود مملكة في منطقة السوس عرف ملكها بمزدانة، ورغم ما مر بهم من أحداث إلا أنهم بقوا مستوطنين المغرب الأقصى لكن نسبتهم كانت قليلة بالنسبة للأندلس¹¹.

ب-الطائفة اليهودية في الأندلس:

¹ المصدر نفسه، ص48.

² أنظر، الملحق رقم3، ص118.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص92.

⁴ إدريس الأول، هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمه عاتكة بنت عبد الملك بنت الحرث بن هشام العاص بن المغيرة المخزومي، أنظر، الجزائى، المصدر السابق، ص ص 12-14.

⁵ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص75، أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973م، ق1، ص18.

⁶ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص75.

⁷ أبي عبيد الله البكري، المغرب ..، ص115.

⁸ البيذق، أخبار المهدي، راجعه، عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 2004م، ص76.

⁹ الإدريسي، صفة المغرب، ص69.

¹⁰ أبي عبيد الله البكري، المغرب، ص ص 148-149.

¹¹ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص45.

كانت نسبتهم في الأندلس أكثر من نسبتهم في المغرب كما أشرت منذ الفتح الإسلامي برز تواجدهم من العهد القوطي إذ كانوا يتصدرون الأعمال الإدارية والمالية والحسابية فكانوا يتعرضون للمضايقات بتهمة تعاملهم بالربا، لذلك كانوا يلجأون إلى الثورة أحيانا وإلى المؤامرات لقلب موازين الحكم حيناً آخر¹، وانتهت الفرصة بعد فتح المسلمين للمغرب سعى يهود الأندلس باتصال بني ملتهم في المغرب حاكم يدعى " EgiKA " يدعو إلى عقد مجمع ديني فأصدر مرسوما ينص مصادرة أملاك اليهود، وفصل أولادهم عنهم في سن السابعة وتربيتهم في أواسط مسيحية²، وهذا ما أثار غضب اليهود من القوط ووجدوا ضالتهم في الأندلس وتقريبهم من المسلمين³ وزادت مكانتهم في ظل الدولة الإسلامية أما عن أماكن تركزهم فنلاحظ تزايد عددهم بالأندلس كما أشرت فكانت تتراوح من 20 إلى 30 ألف يهودي على عكس البوادي التي كانت بها أقلية بحكم ابتعادهم عن العمل الزراعي وتعاطيهم لتجارة وما لوحظ أنهم في مناطق العبور أهم المناطق:

غرناطة⁴ التي تمكنوا من الوصول إلى أعلى المراتب في السلطة فأصبحوا فيها أصحاب الحل الحل والعقد⁵، وأصبحت تدعى بغرناطة اليهود⁶، كما عرفت أليسانة⁷ وطركونة⁸ باسم مدينتي اليهود لوجود اليهود بها، فضلا عن قرطبة بها حارة تعرف بحارة، وتباننت أوضاع اليهود هناك من كان ميسور الحال وهناك من كان يعيش حال الأثرياء، وكذلك تباين استقرارهم هناك من سكن قرب المسلمين بل وجاورو حتى المساجد وهناك من أخذ دور بعيد عنهم⁹.

¹ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص76، إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص92، أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص52.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص76.

³ أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص53.

⁴ غرناطة، بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون ثم بعد الألف طاء مهملة ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس وسمي البلد بذلك لحسنه. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص195.

⁵ ابن عذاري، البيان، ج3، ص264.

⁶ الحميري، الروض المعطار، ص45.

⁷ أليسانة، بلد على مقربة من قرطبة، وكانت بلدا معظم أهلها من اليهود. أنخل جنثالث باتلنيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، تقديم، سليمان العطار، سلسلة ميراث الترجمة، 2011م، ص402.

⁸ طركونة، بلدة بالأندلس متصلة بأعمال طرطوشة، وهي مدينة قديمة على شاطئ البحر. أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص32.

⁹ الونشريشي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق، محمد حجي، دارالغرب الإسلامي، 1401هـ-1981م، ج7، ص51.

وضعيتهم الاقتصادية: كانت وضعيتهم مرتبطة بوضع شدة أو رخاء الدولة، قبل التطرق لوضعيتهم في عصر المرابطين نشير إلى وضعيتهم في ملوك الطوائف حيث اشتغلوا المناصب الإدارية والاقتصادية: فضلا عن سيطرتهم على أعمال الصيرفة¹.

إذ كانوا يشكلون موردا هاما لاقتصاد الدولة من خلال الجزية التي تدفع والضريبة عن التجارة²، فأصبحوا يشكلون طبقة ثرية في العصر المرابطي حيث صار البعض لهم المال الممدود³، مما جعل الأمراء يدفعون ضرائب باهظة من طرف يوسف بن تاشفين التي قدرت "مائة ألف دينار عشرية ثلاثة عشر ألف دينار"⁴.

ونيف وهو ما اعتبره على المؤرخون تعسفا وجورا لليهود غير أن هذا من غير المعقول تصديقه بعد تتبع الأحداث فنجد علي بن يوسف سنة (530هـ-1136م)، أخذ المعونة من المدن المغربية لتجهيز الجيش فقدمت له فاس لوحدها 20 ألفا⁵، ومن رأيي أن الملتزمين لم يكونوا يفرضون الضرائب الباهظة على الطائفة اليهودية فحسب بل عند الحاجة إلى ذلك إلى المسلمين، ولا بد من تقديمها لأنهم عنصر من العناصر المشكلة لمجتمعهم ومشاركتهم في الأمور الإدارية والاقتصادية.

الجانب الاجتماعي والإداري: نلاحظ الصمت في المصادر العربية عن هذا الجانب أن لدينا بعض النصوص والمنشورات التي نشرها ملوك إسبانيا النصرانية حين وقعت الأندلس بين أيديهم تحدثنا عن يهود الأندلس، بالنسبة لحياتهم نجد أنهم كانوا يتمتعون بحرية العيش فكانوا ينتخبون رؤساءهم الذين يرعون أمورهم من أعرفهم في أمور الدين، كما ظهروا بالوثائق الإسبانية بالجماعة وكان كل جماعة يرأسها نفر يدعى "البيرو"، ويسمى أحيانا مقدما أو نعمانا الذي يكلف بأمور طائفته لمدة سنة أما الإدارة الإسلامية في كل ما يتعلق بالضرائب والالتزامات الأخرى كالجزية وإظهار شهادة تثبت صحة تقديمها⁶.

¹ ابن عذاري المراكشي، البيان، ج3، صص 264-265.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص74.

³ مجهول، الاستبصار، ص202.

⁴ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص74.

⁵ ابن القطان، نظم الجمان، ص250.

⁶ إبراهيم القادري بونشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص96، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص81.

أما بالنسبة لحياة عيشهم كانت لهم أحياء عرف أحد الأرباض بربض اليهود¹، وكان اليهود يتعاملون مع المسلمين خاصة في المجال التجاري حيث تشير بعض الفتاوى إلى سكن أحد اليهود قرب منزل مسلم واستقائهما من بئر واحدة بل إن دورهم قرب المساجد²، وتنص فتاوى الفقهاء على أن لا تعلق مساكنهم مساكن المسلمين خاصة³.

أما من ناحية لباسهم فبعض المؤرخين يقولون أنهم منعوا من ارتداء لباس الأخيار، لكن الواقع أنهم تزيوا بزي الأعيان متجاوزين بذلك كل تحذيرات الفقهاء فابن عبدون يذكر: "أن اليهودي كان يرتدي عمامة وخاتما ويجلس في حانوته دون غيار ولا زنار يعرف به"⁴، واعتبرت هاته حالة استثنائية فلباسهم كان من عمامة لا تكون رفيعة الثمن ولا رقيقة الكتان ولا يعظموا أكوام العمام ولا يجعلوا لها أحناكا وهو العنثون تحت الذقن لأن ذلك من زي العرب، ويجوز لباسهم الخاتم لكن ما رق ولطف قضيبه ويمنعون من النقش على خواتمهم بالعربية وكذلك من لباس اللون الأصفر⁵.

الجانب الإداري: فكانت لهم مؤسساتهم القضائية الخاصة التي كانت تعالج فيها قضاياهم دون تدخل الإدارة المراتبية، فكان قاضيهم تحول إليه إيجاز العقوبات والصلاحيات ومن بين القضاة يوسف بن سهل قاضي قرطبة (507هـ - 1114م)، أما في حالة قضية فيها خصمان مسلم ويهودي يحول فيها لطرف قاضي مسلم كي يفصل في الحكم⁶.

وكان لهم الحظ في الوصول إلى مراكز هامة في عهد علي بن يوسف فبرز منهم الأطباء والمتقنون⁷، والمهندسون اشتغل أغلبهم في التجارة والصياغة وصناعة الحرير والزجاج⁸ كما

¹ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص25.

² إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص95.

³ المرجع نفسه، ص101

⁴ ابن عبدون، المرجع السابق، ص51.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 101.

⁶ المرجع نفسه، ص97.

⁷ موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكر، بيروت، 1957م، ج3، ص46.

⁸ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص97.

احترفت بعض يهود سجماسة في صناعة البناء¹، منهم من اشتغل حرفا حقيرة²، ما نلاحظه أن طائفة اليهود اشتغلت حرفا مختلفة.

المجال الثقافي: كان لليهود حرية تعليم أولادهم التوراة والكتابة بالعبرية وغيرها من العلوم التي درسوها على يد شيوخ مسلمين كعلم: الحساب والرياضيات³، أما بالنسبة إلى عاداتهم فكان يوم السبت يوم عيد⁴، وأنهم أثناء دفن موتاهم يخرجون في صمت وخفة في مشيهم نحو المقبرة مما جعلهم محط سخرية ونقد⁵ وطريقتهم مخالفة للمسلمين وما رصدته لنا الأبحاث الأثرية بوجود مقبرة مقبرة شمال قرطبة⁶، وكان منهم من يملك العبيد حسب نوازل ابن سهل وبفضل ثرائهم تمكنوا من تكوين رابطة يهودية للافتداء بأسراهم.

ومن هنا نستنتج أن الطائفة اليهودية كانت لها الحظ بالوصول إلى المكانة الاجتماعية ومساهماتهم في المجال الاقتصادي حسنة وعلاقتها مع الملتمين كانت علاقة وطيدة خاصة في عهد علي بن يوسف إلا أن بعض المؤرخين الغربيين يصرون على أن هاته الطائفة تلقت مضايقات من الملتمين.

الوضع الدينية: كانت لهم الحرية في تطبيق شعائر دينهم غير أنه كان هناك صراع داخلي بسبب الانشقاق المذهبي الذي كانوا عليه فانقسموا إلى قسمين: القرائين والريانيين، بينما تذكر بعض المصادر أن يوسف حاول إدخال اليهود للإسلام⁷، وحسبنا أن يوسف بن تاشفين رغم حماسه الديني المتأجج ورغم استيلاء الصليبيين على بيت المقدس في عهده لم يفرض عليهم ذلك بل فضل الغرامة المالية⁸، فنجد يوسف فرض على يهود المغرب في طور الدولة وأكملها على يهود الأندلس لما توسعت الدولة وهدفه من ذلك الأموال للاستعانة بها فوجد يهود اليسانة

¹ أبي عبيد الله البكري، المغرب، ص149.

² الحميري، المصدر السابق، ص306.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص97.

⁴ المقرئ، المصدر السابق، ج3، ص447-448، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص94.

⁵ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص83.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص98.

⁷ مجهول، الحل، ص81.

⁸ المصدر نفسه، ص81.

المشهورين بثرائهم الفاحش بعد استشارته للقاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن التغلبي¹، وذلك ما يفسر لجوئه إلى أموال اليهود بدلا من الجانب الديني. وما يشير إلى حرية نشاطهم الديني انتشار بعض المذاهب اليهودية كمذهب القرائين الذي أدخله ابن الطراس إلى الأندلس وتابعت زوجته في ذلك حتى انتشر حتى في المغرب في بعض النواحي كدرعة وفاس² ومن مظاهر الحرية الدينية انتشار المراكز الدينية في المغرب وبلغت حرية نشاطهم الديني مع إسحاق الفاسي اليهودي (497هـ-1103م)³ الذي لعب دورا أساسيا في التكوين الديني لليهود الأندلس ورغم ذلك تؤكد بعض الشواهد التاريخية أن هناك مضايقات تعرض لها اليهود في حياتهم الدينية وعن رواية ابن الزبير أن قاضي المرابطين بفاس منع اليهود من بناء معبد بتلك المنطقة⁴، وأنهم أجبروا حتى على لباس يخالف زي المسلمين وأنهم يضعون إشارة يتميزون بها كالشكلة للذكور والخلخال للإناث ومنعهم من ارتداء زي الفقهاء⁵.

دور اليهود في المجتمع المرابطي:

لعب اليهود دورا هاما في المجتمع المرابطي خاصة في المجال الثقافي: لمعت أسماء العديد من المفكرين ومن بينهم إسحاق الفاسي (497هـ-1103م) والسموأل المغربي الفاسي⁶

¹ المصدر نفسه، ص 81.

² إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 105.

³ إسحاق الفاسي اليهودي، ولد إسحاق الفاسي بقلعة حماد بالمغرب الأوسط وكان يدير مركزا يهوديا، كبيرا بفاس، إلى غاية إستقراره بالأندلس في عصر المرابطين، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 94.

⁴ المرجع نفسه، ص 104.

⁵ ابن عبدون، المرجع السابق، ص 51.

⁶ سموأل المغربي الفاسي، هو سموأل بن يحيى بن عباس المغربي، أئله من بلاد المغرب، كان فاضلا في علوم الرياضيات عالما عالما بصناعة الطب، سكن مدة في بغداد ثم أنتقل إلى بلاد العجم ولم يزل بها إلى آخر عمره، وكان أبوه أيضا يشدو شيئا من علوم الحكمة، ونقلت عن خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي قال: هذا سموأل كان شابا يهوديا ثم أسلم ومات شابا.. وبلغ في العديديات مبلغ لم يصله أحد من قبله، بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى، وأقام في ديار بكر وأذربيجان، وكان له رسائل في الجبر يرد فيها على ابن الخشاب الذي كان يناقسه على ذلك، وقال صاحب جمال الدين القفطي ان سموأل لما أتى من المشرق ارتحل منه إلى أذربيجان، وخذم بيت البهلوان وأمراء دولتهم، وأقام بمدينة المراغة وأولد أولادا هناك سلكوا طريقته في الطب، وارتحل إلى الموصل وديار بكر واسلم فحسن أسلامه، وصنف كتابا في إظهار معاييب العيوب، وكذب دعاويهم في التوراة ومواضع الدليل على تبديلها، واحكم ما جمعه في ذلك، ومات بالمراغة قريبا، سنة 570هـ...أنظر، موفق الدين أبي العباس أحمد بن الخليفة بن يونس السعدي الخرجي المعروف ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق، دكتور نزار رضا، منشورات دار الكتاب الحياة، بيروت، ص 471.

تمكنوا من الوصول إلى مكانة عالية المتمثلة في معرفتهم في مختلف العلوم والآداب العربية التي ترجموها فطوروا بها الفكر اليهودي وممن اشتهر أيضا في الدراسات الأدبية بعد إسحاق الفاسي نجد إبراهيم بن عزرا بن المير (464هـ-1073م)¹ أما في الفلسفة نجد: يهوذا بن الصمويل هاليقي المعروف بأبي الحسن (466-544هـ)².

أما علوم الرياضة: نبغ فيها السموأل المغربي الفاسي ووصف بأنه كان رياضيا بارعا³، ألف العديد من الكتب الحسابية وكتاب في المياه⁴، وبرز العديد من الشعراء يهود نذكر منهم موسى بن عزرا⁵... وظهر العديد من الشعراء تميزوا خاصة في فن المقامات والموشحات أشهرهم سليمان سليمان بن زقبال⁶ والموشحات مثل قسمونة⁷، ومن بين جهود اليهود في الحركة الفكرية في الترجمة من اللغة العربية إلى العبرية إلى اللاتينية ومن بين المترجمين⁸ موسى السيفادري⁹.

¹ إبراهيم بن عزرا، (465هـ) هو إبراهيم بن عزرا بن المير، الذي يسمى في الكتابات العربية أبي إسحاق إبراهيم عبد المجيد يجيد أسباب الترسيل، أنخل جنتال بالنيثيا، المرجع السابق، ص560.

² السموأل أو يهوذا هاليقي، الذي يكنى أبا الحسن فقد نظم أشعاره في قوالب وموضوعات عربية، ويؤكد من ترجموا له لأنه كان يكتب العربية في جمال نادر، وقد ألف رسالته التي كانت تحت عنوان " الحجة والدليل في نصره الدين الذليل " ولدينا نسخة في مكتبة أكسفورد، وقد ترجمها إلى العبرية يهوذا بن طبون، بأسم " سفر ها خزر " أي كتاب الخزر.. لتفصيل أنظر، جنتال بالنيثيا، المرجع السابق، ص559.

³ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص43، إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص107.

⁴ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص95.

⁵ موسى بن عزرا، كان موسى بن عزرا شاعرا يهوديا، من أهل غرناطة وكان شقيا في حياته مستغرقا في هواه، ويتغنى في ديوان ديوان شعره " عن الخمر والمسرّة ولذات العيش، على طريقة شعراء العرب، أما كتابه المسمى " المحاورّة والمذاكرة " فقد ضاع أصله العربي، ولم تبقى لنا إلا ترجمته العبرية وهو رسالة في فن الكتابة وشعراء اليهود، من أهل الأندلس و أثارهم وهو كذلك يضم أطرافا من العشر العربي، ولديه كتاب آخر أيضا "الحديقة في منعى الإيجاز و الحقيقة"، وقد اندثر أصله العربي ولم تبقى إلا فقرات ترجمت إلى العبرية.. أنظر: أنخل جانتل بالنيثيا، المرجع السابق، ص558.

⁶ سليمان بن زقبال، ألف سليمان بن زقيبيل أو " سقبيل " مقامة فكهة على طراز مقامات الطراز الحريري. أنظر، المرجع نفسه، ص557.

⁷ قسمونة، مولودة بغرناطة تأدبت على يد أبيها فبلغت شانا عظيما في قول الشعر وما كان يميزها شعرها كان يعبر عن العزلة والمعاناة اليومية وخاصة أنها بلغت سن اليأس المقري، نفح الطيب، ج3، ص530.

⁸ إبراهيم القادري بوتشيش، الباحث في التاريخ الاجتماعي، ص107.

⁹ موسى السيفادري، كان أول من أذعى في بلاد النصارى، أثناء العصور الوسطى من القصص المستقى من الأصول العربية، هو هو كتاب " تعليم رجال الدين " الذي ألفه بدرو ألفونسو، وأصله يهوي وكان أسمه موسى السيفادري، ثم تنصر سنة 1106م، وتبناه ألفونسو الأول ملك الأراغون الملقب بالمقاتل، وتدل الدلائل كلها أن أنه كتب كتابه هذا في أول الامر باللغة العربية، ثم ترجمه

المطلب الثاني: الطائفة المسيحية "النصارى"

قبل التطرق للطائفة المسيحية لا بد من الإشارة إلى نقص المادة العلمية وخاصة إلى الطائفة التي كانت بالمغرب الأقصى بالإضافة إلى تنوع المصطلحات التي استعملها المؤرخون¹ فمنهم من يقول "الروم للتعبير عن كل نصارى الغرب المسيحي بينما استعمل المؤرخون لفظ النصارى² أو النصارى المعاهدين³.

أو المعاهدين فحسب⁴ فأطلق على نصارى الأندلس المحاربين لفظ "عجم الأندلس"⁵، وأطلق البعض عليهم العلوج⁶ ونعتهم ابن الأثير: المماليك الإفرنج والروم، أما ابن خلكان⁷ فيسميهم المماليك⁸ فكيف كانت أحوالهم في المغرب الأقصى؟

أحوالهم في المغرب الأقصى: منذ بداية دولة المرابطين بدأت المسيحية تتلقى روافد جديدة من خارج المغرب وتتمثل هذه الروافد في أعداد كبيرة وفدت إلى المغرب للعمل كجنود مرتزقة في جيوش المرابطين⁹، ويمكن أن نفسر ذلك أن نسبتهم كانت قليلة إلا أنه بقيت أقلية صغيرة من السكان تدين بالنصرانية في بعض الجهات من المغرب بعد الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس، ونذكر من بين الجهات التي تمركزوا بها فاس¹⁰.

بنفسه إلى اللاتينية، وفي هذا الكتاب أورد ثلاث وثلاثين أقصوصة شرقية، ويطبقها على نحو يناسب تعليم لأهل الأدب، على اعتبار أنهم أهل العلم والدرس..أنظر، أنخل جانتالث بالنثيا، المرجع السابق، ص648.

¹ من بينهم ابن عذاري، البيان المغرب، المصدر السابق، ج4، ص102، مؤلف مجهول، الحل الموشية، ص128.

² إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص72.

³ الونشريسي، المعيار المغرب، ج7، ص56.

⁴ ابن عذاري، البيان المغرب، ص70-71.

⁵ حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد نصارى 512هـ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1992م، ص129.

⁶ الجزنائي، جني زهرة الأس، ص23.

⁷ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص51.

⁸ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص29.

⁹ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص72.

¹⁰ الجزنائي، جني زهرة الأس، ص23.

وتامسنا¹، بالإضافة إلى بعض المناطق الجبلية الوعرة وظلت مجموعة من النصارى متواجدة إلى إلى حدود منتصف القرن 5هـ، فيقول البكري: "أن إحداها كانت مقيمة بتلمسان خلال الاجتياح المرابطي، ويعتبر أن علي بن يوسف هو أول من أدخلهم إلى المغرب"²، ومن الملاحظ أنهم كان عددهم قليلا، إلا أنه بدأ عددهم نحو التزايد وجلبهم كمرتزقة في الجيش المرابطي³، حيث بدأ استعمالهم في عهد يوسف بن تاشفين حيث أنه اشترى منهم 240⁴ وكذلك في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، ثم ابنه الذي صحب معه من النصارى زهاء 4 آلاف من النصارى⁵.

وكان سبب تواجدهم أيضا من الأسرى بحيث خلفت معركة الزلاقة زهاء 20 ألفا وكذلك أثناء محاصرة طليطلة رجع الجيش المرابطي محملا بمجموعة من الغنائم والأسرى⁶.

مناطق تواجدهم في المغرب الأقصى: تتجلى في مراكز عاصمة الدولة التي اتخذها النصارى أهم مراكز تجمعهم⁷ ويعود ذلك إلى أنهم من الحرس الخاص للأمير⁸، أما بالنسبة لطبيعة عيشهم فكانوا يسكنون مساكن خاصة وكانت مزودة بكل المرافق الاجتماعية التي توفر لهم الرفاهية، ففي مراكز خصص لهم حي به حانات وأسواق لبيع الخمر ولحم الخنزير⁹.

وهذا ما أفسره أن المثلثين لم يتدخلوا في نمط عيشهم أو فرض أحكام الإسلام عليهم كما كان لهم في حين في مدينة مكناسة إحداها يعرف : بدرب الفتان، أما الثاني: يسمى اسما إسبانيا" درب فيرو¹⁰ كما تقدر نسبتهم في مكناسة حوالي 3 آلاف من نصارى مبعدين من الأندلس¹¹.

¹ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب...، ص20.

² أبي عبيد الله البكري، المغرب...، ص76.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص72.

⁴ ابن عذارى، المصدر السابق، ص23، مؤلف مجهول، الحل، ص25.

⁵ المصدر نفسه، ص131.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص72.

⁷ أنظر، ملحق رقم4، ص119.

⁸ ابن عذارى، البيان، ج4، ص23، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص53.

⁹ ابن عذارى، المصدر السابق، ص51.

¹⁰ إبراهيم لقادري بوتشيش، المرجع السابق، ص72.

¹¹ ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص24.

أما في الأندلس: أما في الأندلس فإن معظمهم استوطنوا غرناطة¹، وإشبيلية²، وبلنسية والبييرة³ وبطليوس⁴ وطركونة⁵، واستقر بعضهم في البادية لزراعة الأرض وكانوا عارفين بأمور الجباية⁶ وكانوا يتعاملون مع المثلثين في المجال التجاري خاصة في البيع والشراء رغم تحذيرات الفقهاء لهم من عدم التعامل معهم⁷.

وهو ما أفسره أن علاقتهم مع مراتبي الأندلس كانت حسنة، أما بالنسبة لمراكز استقرارهم فيقول ابن حوقل: "وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوفا من الناس لم تمتد بهم على دين النصرانية الروم" أي أنهم سكنوا بوادي الأندلس⁸.

التنظيمات الاجتماعية والإدارية:

نظام القضاء: كان لنصارى قضاء خاص، لم تكن الدولة تتدخل في شؤونه إذ خصص لهم قاضيا يعرف بقاضي النصارى ينظر في أمور الجنايات والنزاعات⁹، أما بالنسبة للقضية التي تتضمن فيها طرفين مسلما ومسيحيا فلا بد أن يفصل في القضية قاض مسلم طبقا لأحكام شريعة الإسلام¹⁰ من الملاحظ أن المراتبين سلكوا نفس نهج من سبقهم من المسلمين فنرى أنهم شاركوا لهم نفس نظامهما المدني والإداري المتمثل في: نظام "القماصة" الذي كان يتولى إدارته زعيم عجم الذمة¹¹، ويقوم جماعات نصرانية بانتخابه ومن بين القومسات هو: ابن القلاس¹.

¹ ابن عذاري، البيان، ج4، ص77.

² لطفي عبد البديع، مرجع السابق، ص28.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص73.

⁴ محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي أبو الوليد ابن رشد، نوازل ابن رشد، تحقيق، مختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، 1987م، ص142.

⁵ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص191.

⁶ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص102.

⁷ ابن رشد، نوازل ابن رشد، ص142.

⁸ ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.

⁹ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص72.

¹⁰ لطفي عبد البديع، المرجع السابق، ص28.

¹¹ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص103.

يكلف بجمع الجزية المفروضة "censor" أن يكون قومس على كافة المدن بشكل منتظم ويقدمها نيابة عنهم إلى السلطة المركزية²، وهناك بعض المشاكل المتعلقة بالطريقة التي تؤدي بها الجزية وهو ما طرحها ابن الحاج في نوازل: فقد بعض نصارى يدفعونها جماعيا بدل أدائها حسب الرؤوس وفي حالة إذا بلغ أحد من أبنائهم الحلم لا يلزمه شيء لكن إذا مات أحد من رجالهم البالغين فإن قدر الجزية الجماعية يبقى كما هو عليه، وهي طريقة مخالفة للإسلام الذي كانت تعاليمه تدفع عن كل بالغ³، أما التنظيمات التي كانت في المغرب الأقصى فكان لها أزميتها وقسيسوها ولم تفرض عليهم أية قيود من ناحية اللباس والطعام⁴.

المهام الإدارية: نجد أنهم استخدموهم داخل البلاط وفي الحرس والجيش وصناعة الأسلحة وكان من بينهم قادة محنكون أمثال: الريبرتور⁵، وفي عهد علي بن يوسف تولوا جباية الضرائب فضلا عن اشتغالهم في مجالات أخرى كالطب والتجارة⁶، وحظوا برعاية من طرف علي الذي كانوا يحبونه بعطفه وصلاته وأنعم عليهم بالذهب والفضة والقصور وإن تعلقه بهم أكثر من تعلقه برعيته.

أما في الأندلس: فقد تعاطوا العمل الزراعي أي أنهم كانوا يجيدون عمارة الأرض أن ألفوسو السادس حمل عددا من معاهدة غرناطة لعمارة أرض طليطلة وعندما تم ترحيلهم إلى المغرب الأقصى اشتغلوا بالزراعة.

المظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس: خصصت لهم مقابر خاصة يطبقون فيها عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم ومن بين المقابر التي كانت تدفن بها موتاهم مقبرة الذميين بمكناسة، وكذلك لم يمنعوا من تناول الخمر وبالإضافة إلى تمتعهم بمرافق الحياة الاجتماعية الضرورية فمن فتاوى ابن رشد عدم منعهم من استقاء المياه مع المسلمين بل سمحوا لهم حتى بالخروج في

¹ ابن عذاري، مصدر السابق، ص71.

² حسين مؤنس، فجر الأندلس، شركة العامة للطباعة، القاهرة، 1959م، ص447.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص295.

⁴ عصمت دندش، المرجع السابق، ص35.

⁵ ابن الأبار، الحلة السيرة، حققه وعلق حواشيه، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1972م، ج2، ص198.

⁶ إبراهيم القادري بونتشيش، المرجع السابق، ص75.

صلاة الاستسقاء¹... ورغم ما تمتعوا به من حريات ورفاهية العيش إلا أن بعض المؤرخين يشيرون إلى أنهم كانوا يعانون من الظلم والجور يقول ابن عذارى: أن مجموعة من مسيحي غرناطة ذهبوا إلى بلاط علي بن يوسف لتقديم شكوى حول التعسف والجور الذي تعرضوا له من قبل عامل المدينة، عمر بن ينالة فلما تحقق من صدق قولهم أمر بسجنه².

ويذكر ابن عبدون، منع دخول المسيحيات إلى الكنائس باستثناء أيام الأعياد والاحتفالات بسبب أنهم كن يمارسن الدعارة مع القسيسين ودعوة أهل الذمة إلى الخدمة في أعمال الرذيلة كجمع الزبالة وخدمة الدواب³، كما منع بيع الكتب إليهم لأنهم كانوا يحرفونها وينسبونها إليهم⁴، بل وتدخلهم حتى في لباسهم ومطالبتهم بلباس خاص يختلف عن لباسهم ووضع شارة تميزهم كالشكلة للذكور والخلخال للإناث⁵، ومطالبتهم بعدم إظهار الخنزير والخمر في أسواق المسلمين..... لكن من رأيي أنه ليس بالصحيح هذا وخاصة بوجود المحتسب الذي كان يراقب السلوكات ويصحح السلوكات المنافية للإسلام.

كما تعرض مسيحيو الأندلس إلى محنة التغريب التي يتم فيها تهجيرهم تعرف: "بمحنة التغريب" إذ تم إبعادهم قسرا التي يحددها ابن عذارى (518هـ - 1124م) ويوافقه في ذلك ابن الخطيب.

دور النصاري في المجتمع المراتبي: لعب النصاري دورا هاما في عدة مجالات خاصة في المجال العسكري: فمنهم من تولى قيادة الجيش إلى جانب وظيفة الجباية ومن المحتمل أن يكونوا تقلدوا مناصب أخرى بدليل وثيقة بعثها تاشفين بن علي إلى القضاة والفقهاء يأمرهم بعدم إساءة وظائف الدولة إلى أهل الذمة غير أن هذا القرار جاء متأخرا سنة (538هـ - 1144م) حيث كانوا يشكلون قوة لها فاعليتها تتجلى أدوارهم في الحرس السلطاني⁶ وأول من استخدمهم علي بن يوسف يوسف وتكمن أهمية ذلك لزيادة فعالية الأمن داخل البلاط بالإضافة إلى مشاركتهم في الجانب السياسي الذي قام به الحرس النصراني ومساهمته لتقديم البيعة للأمير المراتبي الجديد وكان

¹ المرجع نفسه، ص76.

² ابن عذارى، البيان، ج4، ص77، إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص76.

³ ابن عبدون، المرجع السابق، ص48.

⁴ المرجع نفسه، ص57.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص76.

⁶ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص102.

للنساء الروميات دور وشأن أيضا حيث كان له حق اختيار ولي العهد وهو ما نلاحظه من المكانة التي حظي بها داخل البلاط¹.

أما في الأندلس: لعب النصارى دورا كبيرا خاصة في الجانب السياسي استغلوا تلك الانشقاقات الموجودة في البلاط وانقسموا إلى إمارات مستقلة أما على الصعيد العسكري عملوا على تقوية الجيش المرابطي حيث أدخلوا طرقا جديدة في القتال مختلفة عن المرابطين.

ومما لا شك فيه أن هاته الحاميات لعبت دورا في خنق الثورات حيث يشير ابن خلدون في مقدمته "احتاج الملوك المغرب أن يتخذوا جندا من هذه الأمة المتعودة الثبات والزحف وهم الإفرنج"².

حيث طوروا من الوسائل فاستبدلوا الجمل باستعمالهم للخيل أثناء معركة وتغييرهم من المزاريق إلى الدقة والدروع³.

نلخص في الأخير أن أهم العناصر البشرية التي شكلت خريطة سكان المغرب والأندلس في الحقبة المرابطية تجلت في العنصر البربري الذي مثل السواد الأعظم من سكان حواضر المغرب الأقصى وبواديه على الخصوص ثم يأتي العنصر البربري الذي اتخذ من المدن مستقرا له وبدرجة أقل الأقليات على غرار الصقالبة والروم والعنصر السوداني والأتراك وأهل الذمة من اليهود والنصارى حيث ميزهم ذلك الاختلاف العرقي والديني واللغوي.

¹ المرجع نفسه، ص 102.

² ابن خلدون، المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، الأستاذ خليل شحادة، مراجعة دكتور سهيل زكار، دار الفكر، 2001م، ج 1، ص 269.

³ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 223.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: طبقات المجتمع المرباطي

المبحث الأول: الطبقة الحاكمة.

المبحث الثاني: الطبقة الوسطى.

المبحث الثالث: الطبقة العامة.

شهد المجتمع المرابطي تنوعاً في طبقاته وطوائفه نتيجة لتتوعات الظروف السياسية والاتجاهات الدينية والفكرية التي مر بها المغرب والأندلس بالإضافة إلى تنوع النشاط السكاني الذي أسفر عنه تعدداً في أصحاب المهن والحرف مما جعل ذلك تبايناً في المجتمع المرابطي، يشكلون طبقات مختلفة كل طبقة تشكل لبنة لبناء المجتمع فانقسم المجتمع إلى 3 طبقات: الطبقة الحاكمة، الطبقة الوسطى، الطبقة العامة¹.

المبحث الأول : الطبقة الحاكمة

المطلب الأول : الأمراء وقادة الجيش

عرف المجتمع تمايزاً نتيجة للظروف السياسية والاقتصادية التي كان يعيشها كل من المغرب الأقصى والأندلس:

أ- الأمراء: اتخذوا لقب " أمير المسلمين " وتحاشوا لقب أمير المؤمنين لأنهم كانوا يرون لقب أمير المسلمين لأنه من اختصاص العباسيين أبرز الأسر الحاكمة في العصر المرابطي أسرة يوسف بن تاشفين وبنيه كانت لهم من رئاسة المجتمع المغربي²، أول من تلقب بلقب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين³ ومما نلاحظه أن هناك اختلافاً بين الجيل الأول والجيل الثاني إذ كان أمراء الجيل الأول، يتميزهم روح العصبية وطابع الخشونة والبداءة وتكشفهم من حيث الملابس والمأكّل فكان لباسهم الصوف وطعامهم خبز الشعير ولبن الإبل ولحومها⁴ وخير مثال يوسف بن تاشفين الذي عاش على نمط حياة البربر⁵.

أي حياة البساطة غير متكلفين يعيشون حياة الزهد والتقشف⁶، وما نلاحظه تغير الأحوال بعد ضم الأندلس التي تغلبت عليهم الحياة الأندلسية بمتعتها وبهجتها حيث بدأ بتغير جديد يطرأ عليهم حيث أخذوا مظاهر الأبهة واستعرضوا بها⁷، وظهر ذلك في عهد علي بن يوسف

¹ جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 162.

² حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 329.

³ حركات إبراهيم، المرجع السابق، ج 1، ص 186.

⁴ ابن عذاري، البيان، ج 4، ص 46، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 99، ابن أبي زرع الفاسي، المرجع السابق، ص 97.

⁵ محمد سعد الأطلس، تاريخ الأندلس، ط 2، دار الأندلس، 1399 هـ، ج 1، ص 125.

⁶ حسن أحمد محمود، المرجع السابق: ص 422.

⁷ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص 326.

فتميزوا بالترف فتغير لباسهم ومأكلهم ولم يكن غريبا هذا التغيير لأن علي عاش في بحبوحة العز والترف ولم يكن متقشفا مثلما كان والده ولم يكن غريبا أن يكون الأمراء والقواد أن يسيروا على منواله وأن يعيشوا عيشة الرفاهية فتأنقوا في المأكّل والملبس واتخذوا مجالس من الشعراء والمغنين وبدأوا يحيون حياة لا تختلف عن حياة ملوك الطوائف¹، فتأنقوا في لباسهم وقلدوا العباسيين في لباس السواد وحملوا السيوف المحلات²، فشبه بلاطه ببلاط العباسيين³ وكذلك تميزوا بتشييد القصور فتفننوا في زخرفتهم ويقول ابن خلدون في ذلك : "رجعوا إلى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس فينبون القصور"⁴.

وكان الأمير علي بن يوسف يؤثر النزول كلما حل بالأندلس بقصر "المغروس" المطل على وادي اشبيلية⁵، وجلب فنانين من الأندلس في بنائها وزخرفتها وبدت مراکش في أواخر العهد المرابطي زاخرة بهذه الحياة المترفة وامتألت هاته القصور بالخدم والعبيد الإفرنج والسودان⁶، وكان من كثرة عددهم أن كل منهم عمل حسب تخصصه داخل البلاط⁷، وأغدق أمراء الثغور على أمراء المرابطين بالهدايا الثمينة والتحف المملوكية فأمر سرقسطة المستعين أحمد بن يوسف المؤتمن وجه رسالة إلى يوسف بن تاشفين وهدية ضمنت 14 ربحا من آنية فضية⁸، كما أن ابن هود ظل يهاديه مما تحصل عليه بيده من الذخائر واليواقيت والجواهر ورفيع الدنانير⁹، ومن الأمراء الذين عرفوا بكرمهم وبسط أيديهم "أبو بكر بن إبراهيم صهر علي بن يوسف وصفه ابن الخطيب¹⁰ : أنه كان مثلا في الكرم وآية في الجود، فوصفوا في قصائد الشعراء بعلو الهمم والجلالة وأخلاقهم التي شملت العطاء والخير والتقوى¹¹، غير أن

¹ حسن أحمد محمود ، المرجع السابق، ص423.

² مجهول، الحلل الموشية، ص27، الإدريسي، صفة المغرب، ص68.

³ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص422.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص177.

⁵ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص113.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص132، ابن عذارى المراكشي، البيان، ج4، ص23.

⁷ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص132.

⁸ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص249.

⁹ مؤلف مجهول، الحلل، ص76.

¹⁰ ابن الخطيب، الإحاطة ..، مج1، ص218.

¹¹ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص133.

بعض المصادر تشير إلى أن الأمراء منهم من أسرف في ترفيه ولهوه وانغمسوا في شرب الخمر والإفراط فيه وتبذير الأموال¹، حيث كانت القصور تحتضن الجواري الروميات²، وأنجبوا الأولاد الأولاد منهن³، أما من حيث القيادة والأمور السياسية كانت منحصرة في أسرة الأمير يوسف تحلت بالسيادة في بلاد المغرب والأندلس كما سبق القول ومن أهم القبائل لمتونه التي كانت تحتل مكانة مرموقة بيت قبائل البربر لأن الطبقة الحاكمة تنتمي إليها بالإضافة إلى صنهاجة و جداله ومسوفة ولمطه.

وتجلت مظاهر الترف عند الأمراء في ميدان التعليم إذ جلبوا لأبنائهم بعض المؤدبين لتدريسهم داخل القصور واختاروا لهم أجود المدرسين مثل ابن عبد الواحد اليحصبي⁴ الذي انتهى إلى غاية نبيلة من العلم فصار يقرئ أبناء أعيان الدولة بمراكش، وأبي بكر ابن الدوس⁵ الذي اشتهر بالإقراء واقتصر بذلك على الأمراء ولم يكن لسواهم⁶، ونجد أن يوسف بن تاشفين رغم أنه لم يكن يجيد تعلم اللغة العربية إلا أنه سعى لتعلمها فضلا عن شغفه بمجالسة العلماء ناهيك عن العلماء الذين تحملوا مشقة الرحلة في سبيل العلم وتولى أفراد البيت الحاكم المناصب

¹ المرجع نفسه، ص133.

² عصمت دندش، المرجع السابق: ص172.

³ تذكر المصادر أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين تزوج في سن مبكرة من أحد أقربائه وصار أبا في سن 16 أنجب ولده البكر وبعد مدة رزق من جاريته الرومية ضوء الصباح بابنه الثاني "تاشفين".. ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ج1، ص 165، عصمت دندش، المرجع السابق، ص174.

⁴ عبد الواحد اليحصبي، هولب بن عبد الوارث اليحصبي النحوي، نظر في الفقه ثم مال إلى اللغة العربية فبلغ منها إلى غاية غاية نبيلة، قرأ عليه اولاد اعيان مراكش. أنظر، الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1965م، ج2، ص269 أنظر، المقري، نفح الطيب، ج2، ص532.

⁵ ابن الدوس، محمد بن أغلب بن الدوس سكن المرية مدة، من أبدع الناس خطأ وأبدعهم ضبطا ونقلا، اشتهر بالإقراء واقتصر ذلك على الأمراء ولم ينحط لسواهم وكان عظيم التحول كثير التجوال لا يستقر في بلد ولا استقرار آخر عمره بأغامت، وبها مات وكان له شعر بديع يصونه أبدا ولا يمد به يدا. أنظر، ابن خاقان، مطمح الأنفس ومطرح التأنس في ملمح أهل الأندلس، تحقيق، محمد علي شوباكة، دارعمار ومؤسسة الرسالة، 1983م، ص300، أنظر، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق، دكتور إحسان عباس و دكتور محمد بن شريفة ودكتور محمد عواد بشار. معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، ج4، ص146، أنظرأيضا، ابن الخطيب، الأعلام، ج4، ص50، الحميدي، جذوة الاقتباس، ص254.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص134.

العليا وقيادة الجيش وتندرج تحت الطبقة الخاصة الوزراء والكتاب وهما وظيفتان يصعب الفصل بينهما¹.

الحياة في الأندلس: إن أمراء في الأندلس تغلبت عليهم الحياة الأندلسية بمتعتها وبهجتها ومسررتها فعاشوا حياة لا تختلف عن حياة الملوك الطوائف التي كانوا يحيونها²، واتخذ الأمراء المرابطون وقوادهم من القصور الحسان منزلاً لهم وتقن المهندسون في بنائها وزخرفتها وهذا دليل أكد على مدى ثراء والترف في عهدهم ومن القصور الجميلة البديعة التي كان أمير المسلمين على بن يوسف يثر النزول بها كلما حل بالأندلس مثل "قصر المغروس" المطل على وادي اشبيلية³ ويقول المقرئ في ذلك عدد القصور الكبير بغرناطة بأربعمئة دار وثلاثون وعدد ديار أهل الدولة آنذاك ستة آلاف دار وثلاثمئة⁴.

ب- قادة الجيش: احتل قادة الجيش مكانة مرموقة في الهرم الاجتماعي للدولة اعتمد اقتصادها على موارد الغزو و الحروب ...

ف نجد اهتمام الأمراء بذلك من بينهم يوسف بن ناشفين منذ اللحظة الأولى بتنظيمه فبلغ عددهم في عهده 100 ألف رجل⁵، فكان يغدق عليهم بالعطايا والأرزاق وحسب مقولة ابن خلدون⁶ "حاجة الأمراء إلى صاحب السيف... فيكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاهاً"، ومن مظاهر ترفهم إقامتهم بالقصور والدور الفخمة بجوار الأمراء ولم يكونوا يختلطون بالعامّة الناس إذ كانت لهم إقامة في مراكز بهذا الصدد يذكر ياقوت الحموي عن تلمسان "هما مدينتان إحداها قديمة وحديثة اختطها المثلثون ملوك المغرب بحيث سكن فيها الجند وأصحاب السلطة⁷، ومن المكانة التي حظوا بها تغنى الشعراء بهم⁸، وكان لهم قاضي مخصص لهم

¹ المرجع نفسه، ص134.

² حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص422.

³ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص133.

⁴ المقرئ، نفح الطيب، مج1، ص540.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، المصدر السابق، ص135.

⁶ ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص507.

⁷ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص401.

⁸ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 136.

أيضا يسمى قاضي العسكر وقد استغل هاته الوظيفة¹ عبد الرحيم بن إسماعيل² في عهد تاشفين بن علي³.

المطلب الثاني : أصحاب الوظائف الحكومية الكبرى

أ- الوزراء والكتاب: بحكم تداخل وظيفتي الوزراء والكتاب فتوجب علي ذكرهما معا:

يقول ابن خلدون: خطة الكتابة "هي إحدى الصنائع التي تؤدي إلى مخالطة الملوك فلها بذلك شرف ليس كغيرها"⁴.

كان للمرابطين بعض الوزراء المركزيين وآخرون إقليميون فالوزراء المركزيين يقيمون في مراكز بوصفها عاصمة البلاد أما الإقليميون فهم وزراء تابعون للأمرأ المحليين بالأندلس⁵ بعض الوزراء هم أعضاء السلطة الحاكمة ينتمون إلى ولاية الأمر وذلك ما فعله يوسف بن تاشفين حينما اتخذ سير بن أبي بكر⁶ وزيرا له ، وتبرز أهمية الكاتب والوزير حين تثبت عود الدولة ويشرع الأمرأ في تحصيل ثمرات الملك من الجباية، فيكون أرباب الأقلام أوسع جاها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وأقرب إلى السلطان مجلسا⁷، ونجد ازدهار خطة الكتابة في عهد علي

¹ المرجع نفسه، ص136.

² عبد الرحيم بن إسماعيل، قاضي عسكر ابن تاشفين يروى عن أبي علي و يروى عن أبو العباس أحمد بن عمر بن افرند" وقَات بخطه أن الفقيه قاضي العسكر عبد الرحمان بن اسماعيل، كان قاضيا في أمير المسلمين بمدينة سلا، أنظر، أبي علي حسين بن محمد ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م، ص251.

³ تاشفين بن علي(539هـ-1145م)، هو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، أبو العز صاحب المغرب من ملوك ملوك دولة الملتمين، فكان شجاعا بطلا تولى أيام أبيه غزو الأفرنجة، بالأندلس سنة (520هـ)، فعبر البحر وأفتتح حصونا في طليطلة، وظفر في معركة فحص الصباب وأحتل مدينة كركي.. لتفصيل أنظر، الزركلي، الأعلام، ج2، ص82.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، م1، ص432.

⁵ حركات إبراهيم، المرجع السابق، ج1، ص190.

⁶ سير بن أبي بكر، بن تاشفين الأمير الكبير من أمرأ المرابطين، وهو ابن اخي يوسف بن تاشفين وأحد قواده وأعظم رجاله، وهو الذي استنزف ملوك الطوائف عن عروشهم، وكانت له مقامات صدق الجهاد في الأندلس ولاسيما في معركة الزلاقة، وفي سنة اربع و خمسمائة فتح مدينة شريش وبطليوس ويابرة واشبونة وجميع بلاد المغرب الأندلس، وفي سنة سبع وخمسمائة توفي في بأشبيلية ودفن بها، وهو الذي دخل على المعتمد على الله في اشبيلية..أنظر، العباس بن إبراهيم السملالي، المصدر السابق، ج10، ص162.

⁷ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص138.

علي بن يوسف بعد أن توطدت أركان الدولة وذلك ازدهرت الكتابة وذلك ما يذكره ابن الآبار: وفي دولة أبيه إشارة إلى علي بن يوسف أنه نقص في العلوم والآداب وكثر النباهاء وخصوصا الكتاب¹، وذلك لحاجة الدولة المرابطية تجلت في ضرورة توجيه الأمر للرعية وإرسال الرسائل للملوك والسهل على قوائم المستحقين وما يتطلبه من حسابات دقيقة ولا تساع المساحة لنقل الأخبار سواء في أيام السلم أو الحرب²، ولأهمية هذا المنصب توفرت شروط له: وضعها ابن خلدون ابن خلدون بقوله: " يختار صاحب هذه الخطة من أرفع الناس ومن ذوي المروءة والحشمة والنباهة في العلم"³.

حظي الكتاب والوزراء بمكانة من طرف الأمراء ومنحهم العطايا والهدايا التي بفضلها كانوا يعيشون حياة الترف والبخ⁴، إذ تم استقدامهم إلى بلاط مراكش بأعداد وافرة حتى اجتمع على علي بن يوسف من أعيان الكتاب والبلاغة ما لم تبلغه إلى مدينة أخرى ويقول المراكشي في معجبه " أن الدولة المرابطية شبهت ببغداد"⁵، ومنهم من ذاع صيته مثل أبي الخصال⁶ "كان أديبا وفصيحا" استعمله ولاية لمتونه في الكتابة بفاس و مراكش ؛ وعبد المجيد بن عبدون⁷ عبدون⁷ تميز ببلاغة شعره ، وأبي بكر المرخي⁸، الذي ليس لسلطان المغرب المثلث مثله يتحلى

¹ المرجع نفسه، ص138.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص104.

³ ابن خلدون، المقدمة، م1، ص260.

⁴ ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص220.

⁵ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص255-256. إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص138.

⁶ أبو الخصال، مولده غير معروف بالضبط نشأ بشقورة ودرس بقرطبة وهو من رواة الحديث بالإضافة إلى تضلعه في الأدب. الأدب. أنظر، إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ص192.

⁷ عبد المجيد بن عبدون، عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري، الوزير الكاتب أبو محمد، بقية مشايخ الكتاب الأدباء العلماء وأحد فحول من الشعراء المقدمين عند الملوك والرؤساء، وكان أحد رؤساء الأدب لقائمين بعلم العرب، الحافظين للخبر ومعاني الشعر واللغات، قرأه الناس كثيرا، وحملوه عنه كتب الغريب والآداب وغير ذلك، وكتب أخيرا للأمير المسلمين علي أيده الله ، ثم أنصرف لبلده وتوفي بها سنة سبع وعشرين وخمسائة. أنظر، القاضي عياض، الغنية، تحقيق، ماهر زهير جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص174.

⁸ أبي بكر المرخي، قالي لي القاضي أبو محمد بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد ابن أبي حبيب الشلبي لما قدم من الإسكندرية حاجا سنة 527هـ، ولم يقدم علينا من الأندلس أحدا مثله وصاني أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن المرخي لما ودعني أن أخذ الإجازة له فأجزت له قال اب أبي حبيب: أنه من أهل المعرفة بالحديث وليس بالأندلس أحدا مثله قال: وابن عمه أبو بكر اللخمي من الكتاب الكبار وله الشعر، وترسل مدون وليس عند سلطان المغرب المثلث أحد مثله،

يتحلى الوزراء باسمه وتشرف الكتابة باسمه¹، ومنهم من عاش فترة خمول حتى تم استدعاؤه من طرف الأمراء مثلما فعل يوسف بن ناشفين حين تم استدعاء ابن القصيرة² وولاه كتبه ودواوينه ورفع من شأنه حتى أنساه زمانه³.

ب - الولاة:

إلى جانب الأمراء وقادة الجيش والكتاب والوزراء فقد احتل الولاة بدورهم مركزا اجتماعيا ضمن الطبقة الخاصة حيث كانوا ينسبون إلى الأسرة الحاكمة ومؤسسات الدولة⁴، كانوا يعينون من لمتونه خاصة ومن صنهاجة عامة⁵ وهكذا تولى كل من الأندلس بالنيابة كل من علي بن يوسف و تاشفين بن علي وإبراهيم بن تاشفين⁶ قبل أن يتولى الملك وكان بالمغرب نواب عاملون عن أمير المسلمين يقيمون بفاس فمن تولى هذه النيابة تميم بن يوسف وأبو عبد الله بن الحاج⁷، فكانوا يعيشون حياة الترف فتأنقوا في بناء القصور وملأوها خدما وعبيدا وجواري وتفننوا في مآكلهم وملبسهم⁸، إلا أن منهم من مارس الرشوة في عمله والاختلاس مما نتج لهم الطريق للمزيد للكسب والثراء وهذا ما يؤكد ابن رشد: عما قام به أحد الولاة بالصحراء من

ومثل أبي مروان أبي الخصال هذا آخر كلام لأبن أبي حبيب. أنظر، الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي، معجم السفر، تحقيق، عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، 1993م، ص158.

¹ المرجع نفسه، ص138.

² ابن القصيرة، محمد بن سليمان، أبو بكر بن القصيرة، روى عنه أبو الوليد هشام بن يوسف لقيه بمراكش سنة 492هـ، وكان كاتباً بارعاً مجيد الخط كتب عن أبي يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني وذكر فيه أيضا ابن خاقان أنه غرة في جبين الملك ودرة لا تصلح إلا لذلك السلك باهت بيه الأيام وتاهت في يمينه الأقلام وأشتملت عليه الدول اشتمال الكمام على النور. أنظر، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص247، أنظر، ابن خاقان، قلائد العقيان، ص305.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المصدر السابق، ص139.

⁴ جمال أحمد طه، فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الإسكندرية، دس، ص165.

⁵ إبراهيم حركات، المصدر السابق، ج1، ص196.

⁶ إبراهيم بن تاشفين (541هـ-1147م)، هو بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، أبو إسحاق آخر ملوك دولة المرابطين، كان مع أبيه في قتاله للموحدين، ووجهه أبوه إلى مراكش بعد أن ولاه وبعد مرور شهر توفي أبوه، فبيع له في مراكش سنة (539هـ). تفصيل أنظر، الزركلي، الاعلام، ج1، ص34.

⁷ الناصري السلاوي، الاستقصا، ج2، ص57.

⁸ إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص143.

اغتناب واختلاس أموال أهالي المنطقة لتقديم هدية لأحد الأمراء المرابطين¹، ناهيك عن الإقطاعيات التي نعموا بها ولم يجدوا غضاضة في معاداة المرابطين وموالاة خصومهم الموحدين من أجل الحفاظ عليها²، ومن البديهي انعكاس الوضع المادي على الوضع السياسي وانعكاسه على الحياة الاجتماعية حيث توسعت سلطتهم لدرجة وصلت بهم إلى تخليص السجناء³ من السجن وإطلاق سراحهم⁴.

ج - مشرفو المدن : إلى جانب الأمراء والكتاب والوزراء حظي رجال الجهاز المالي بمكانة مرموقة ومميزة في المجتمع المرابطي وخاصة مشرفو المدن المكلفون بجمع الضرائب حيث أن أحد مشرفي مدينة فأس كان له حظ عظيم حتى لم يكن في زمن الحشم أعظم منه⁵ وقد كان اليهود ممن تولوا هذا المنصب بكثرة⁶.

المطلب الثالث : الفقهاء والقضاة

لقد احتل الفقهاء مكانة رفيعة ضمن الطبقة الخاصة في العصر المرابطي لكون هذه الدولة قامت على أساس ديني ودعوي وإصلاحي والتعاليم التي وضعها عبد الله بن ياسين باعتباره منشئ الدولة الروحي ومؤسسها فهكذا من الطبيعي أن يحتل فقهاء المالكية بمكانة هامة في بلاط يوسف بن تاشفين⁷، يذكر المراكشي " عظم أمر الفقهاء لأن أمرائهم لم يكونوا يقطعون أمرا ولا يبتون في صغير الأمور ولا كبير إلا بحضور أربعة فقهاء فبلغ الفقهاء لذلك مبلغا عظيما .. فكثر ذلك أموالهم واتسعت مكانتهم"⁸، ومن أول من التحق بالبلاط المرابطي

¹ ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تحقيق، المختار بن الطاهر التلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987م، ص1028.

² إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص142.

³ مثال عن ذلك: والي بلنسية أبو بكر بن عبد العزيز تمكن من إطلاق سراح محمد إسحاق بن ظاهر وتخليصه. أنظر، عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة، ج5، ص592.

⁴ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص108.

⁵ البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص 24.

⁶ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص108.

⁷ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص328.

⁸ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص130.

المرابطي الفقيه أبو بكر المرادي¹، واتصل بأبي بكر بن عمر²، واستطاع أن يكسب ثقته فاتخذته وزيراً ومشاوراً وطلب منه أن يؤلف له كتاباً في أصول الحكم لكتاب السياسة في تدبير الإمارة³.

كما عرف يوسف بن تاشفين بتعلقه بالفقهاء وإكرامهم وإجزال العطايا لهم⁴، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال أيامه⁵، كما أن ابنه كان شديد التعظيم والإجلال لهم، وعند إصدار أحكامه لا بد من حضور أربعة من الفقهاء⁶ ومدحهم الشعراء فتكدست الأموال لديهم فأخذوا يسرفون بكل أنواع البذخ والترف⁷ والجاه الذي اكتسبه الفقهاء عن طريق التحالف مع النظام المرابطي حازوا على الثروات وأملك عقارية مما جعلهم يعيشون في رفاهية وسعة من المال مما مكنهم من احتلال المراتب الأولى ضمن المجتمع المرابطي فمن بينهم: الفقيه محمد بن الحسن بن كامل ابن الفخار (ت 539 هـ - 1145 م)⁸، وأحمد بن جعفر بن سفيان المخزومي (ت 566 هـ - 1176 م)⁹ وغيرهم من الفقهاء... الخ.

¹ أبو بكر المرادي، هو أبو بكر محمد بن الحسن المرادي له كتاب الإشارة في تدبير الإمارة توفي (489 هـ)... أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 70.

² أبو بكر اللمتوني (480 هـ - 1078 م)، أمير مرابطي تولى الحكم سنة 540 هـ، ثم تنازل عنها ليوسف بن تاشفين... ابن عذاري عذاري المراكشي، البيان، ج 4، ص ص 14-15.

³ عصمت دندش، المرجع السابق، ص ص 102-103.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، دار سينا للنشر، 1955 م، ص 143.

⁵ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ج 1، ص 137.

⁶ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص 328.

⁷ المرجع نفسه، ص 328.

⁸ محمد بن الحسن بن الكامل بن الفخار، محمد بن الحسن المالقي، أبو عبد الله ابن الفخار، صاحب نصف الريض كان ادبياً ادبياً محسناً كاتباً، عظيم الجدة شهير اليسار، لم يكن نظيره سعة الحال وكثرة المال، وكانت بينه وبين بني حسون منازعات ضيق فيها عليه حتى سيق إليهم مصفداً، فلم يزل يستعطفهم حتى أعفو عنه توفي سنة 539 هـ. أنظر، أبي عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، المصدر السابق، ج 4، ص 178.

⁹ أحمد بن جعفر بن سفيان المخزومي، هو أحمد بن محمد بن جعفر بن سفسان المخزومي شقري أبا العابد، روى عنه أبو عمر أحمد بن هارون بن عات ويوسف بن عبد الله بن عباد، كان رجلاً فاضلاً خيراً، من بيت قديم النباهة، ذا حظ من قرض الشعر، مال إلى التصوف والزهد وانتابه أهل الخير فأنفق عليهم أموالاً جلييلة وكان من أهل الثروة واليسار، وأدركته وحشة من الأمير محمد بن سعد فخلع دعوته وضبط بلده آخر سنة 566 هـ، فادى ذلك إلى محاصرته الطويلة ولم ينفس عن أهله إلا موت ابن سعد في رجب 567 هـ، فنالوا بذلك إثرة عند أبي يعقوب بن عبد المؤمن فما بعده من عقبه من الولاة. أنظر، أبي عبد الله

أما بالنسبة لحياتهم ومكانتهم الاجتماعية فكانوا يعيشون حياة الترف والرفاهية وذلك بفضل اتصالهم بالبلاط المرابطي والاستفادة من كرم وجود الأمراء الذين قربوا جل الفقهاء إليهم وأجزلوا العطاء إليهم¹، فسكنوا القصور الفخمة وناهيك عن تملكهم العبيد وتأنقهم في المأكّل والمشرب²، وبلغت ثروتهم أن يبنوا المساجد ويوقفوا الديار عليها³، ومنهم من تبرع لبناء سور إشبيلية⁴، ونظرا لثرائهم الفاحش اتجهت أنظار الشعراء إليهم للمدح وللكسب ومن بين أبرز الفقهاء الذين كتب عنهم الشعراء طمعا في عطائهم وكرمهم: الفقيه " أبو حمدين " الذي وصفه ابن بسام أبو حمدين هذا وقتنا غرة الزمان الزاهية وآية الإحسان الباهرة⁵ ومدحوا كذلك الفقيه أبا أمية⁶، ومدحهم للفقيه أبي بكر العربي⁷ ومنهم من اتخذ للرشوة سبيلا له فالفقيه أبو غالب عبدري⁸ أطلق أخاه من السجن مألقة مقابل ألف دينار رشوة⁹.

محمدين محمد عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص578، أنظر أيضا، ابن الأبار، التكملة، تحقيق، عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م ج1، ص164.

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص134.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص109.

³ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص936. المقرئ، نفح الطيب، مج3، ص232.

⁴ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص109.

⁵ ابن بسام الشنتريني، الذخيرة، م2، ص839.

⁶ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه، شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، (دس ن)، ج2، ص467.

⁷ أبا بكر العربي، هو محمد بن أحمد بن بكر العربي المعافري المكنى بأبي الأشبيلي توفي سنة (543هـ) وجاء في مدحه: فحلها أي الأندلس والنفوس إليه متطلعة ولأبنائه متسعة فناهيك من الحظوة ما لقي ومن الرفعة سما....المقرئ، المصدر السابق، ج2، ص34، أنظر، أحمد بن القاضي المكناشي، المصدر السابق، ص261-262.

⁸ أبو غالب عبدري، هو الفقيه أبو الربيع سليمان بن أحمد بن علي بن أبي غالب العبدري الكاتب، من أهل دانية سكن مراكش بعد ما تجول في الأندلس، وكان أبوه أحمد وجده علي، وليبتهم نباهة، وكان له في القضاء مألقة. لتفصيل أنظر، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، المقترض من تحفة القادم، تحقيق، إبراهيم الأبياري، 1983م، ص183.

⁹ المصدر نفسه، ص183.

ولا مرأ أن هذه الثروة الواسعة إلى جانب الجاه الذي احتموا به أعطاهم مكانة اجتماعية أصبح لهم دور حتى في الحياة السياسية وخير دليل أن يوسف بن تاشفين استشار الفقهاء حين أراد عبور الأندلس وأخذ منهم رأي الموافقة بالدخول¹.

وأصبحوا يدخلون المدن دخولا رسميا يشبه دخول الأمراء²، وما يؤكد النويري أنهم كانوا يبدون يبدون رأيهم بالأمور المتعلقة بالحكم فيقول عن فقهاء الأندلس الذين قالوا ليوسف بن تاشفين لا يجب طاعتك حتى يكون لك عهد من الخليفة أبي العباس أحمد المستظهر بالله³.

أما بالنسبة للقضاة : كان لمنصب القضاء أهمية كبيرة في عهد المرابطين كما أنهم كانوا يعينون من كبار الفقهاء كابن رشد⁴ وابن حمدين في الأندلس و عياض السبتي⁵ وعبد الملك مسمودي⁶ من المغرب وكان من مهام القضاة في مجال القضاء قبل إن يقدمها الوزير إلى أمير المسلمين وكان تعيينهم في عهد المرابطين لا يستند إلى عصبية قبلية كما فعلوا في تعيينهم للعمال حتى أن أغلب القضاة لم يكونوا من صنهاجة وذلك لتطبيق أحكام الكتاب والسنة والابتعاد عن التمييز العنصري اتسمت إجراءاتهم بالبساطة والسهولة ولكنهم منحوا القضاء رتبة

¹ ابن خلكان، المصدر السابق، ص ص280-281.

² إبراهيم القدري بونشيش، المرجع السابق، ص145.

³ النويري لنويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، عبد المجيد، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004م، ج24، ص150.

⁴ ابن رشد، " 520-595 هـ محمد بن أحمد بن رشد أبو وليد فيلسوف قرطبة من كبار فقهاء الأندلس وقضاتها عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية وزاد عليه زيادات كثيرة صنف له 50 كتابا منها " فلسفة ابن رشد " التحصيل في اختلاف مذاهب العلماء " الحيوان " درس على أجلة علماء الأندلس كأبي جعفر بن رزق وأبي العباس العذري وغيرهم وجه عنايته نحو الفقه وأصوله على مذهب مالك تولى قضاء قرطبة في عهد علي بن يوسف 511 هـ ثم أعتزل عن منصبه في 515 هـ ... أنظر، باقر أمين الورد، معجم علماء العرب، راجعه، كوركيس عواد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، 1406 هـ -1986م، ج1، ص50، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص205.

⁵ عياض السبتي، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي من أهل سبتة يكنى بأبي الفضل قدم الأندلس طالبا للعلم فأخذ بقرطبة على أبي عيد الله بن محمد بن علي بن حمدين وأبي الحسين سراج أبي عيد الملك سراج وأجاز له أبا علي الغساني..وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة ببقى بلده مدة كبيرة حمدت سيرته ثم نقل إلى قضاء غرناطة فلم يطل أمده بها.. أنظر، أبو القاسم بن خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص74.

⁶ عبد الملك مسمودي، عبد الملك مسمودي ويكنى أبا مروان، ولني قضاء الجماعة بمراكش في أول الدولة اللتوننية، ودخل الأندلس غازيا، واستشهد في واقعة الزلاقة، بمقربة بطليوس يوم الجمعة لنصف من رجب، وقيل الموفى في العشرون منه سنة تسع وسبعون واربعمائة. أنظر، ابن الأبار، التكملة، ج3، ص224.

عظيمة كسبوا منها الأموال واتساع مكاسبهم¹ وكان تعيينهم عن طريق أمير المسلمين أو نائبه².

وكان قاضي مراكش وقاضي قرطبة يدعى بقاضي الجماعة³ كان للقضاة مكانة هامة حيث كان أمير المسلمين ونوابه يستشيرون القضاة في تعيين غيرهم من القضاة وكان من اختصاصه العزل وتعيين العمال وكان للقاضي مستشارون واتخذ هذا النظام منذ عهد علي بن يوسف بن تاشفين وكان من هؤلاء الأربعة اثنان يلزمان القاضي أثناء إصدار أحكامه واثنان يختصان بالمشورة للمتازعين⁴.

¹ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 200 .

² المرجع نفسه، ص 200.

³ قاضي الجماعة، يعتبر منصب قاضي الجماعة من أرفع المناصب القضائية في الأندلس كان صاحبه يشرف على القضاء في جميع أنحاء الأندلس وكان يتولاه إلا من كانت له الكفاءة العالية في القضاء وكان قاضي الجماعة يتمتع بسلطات واسعة منهم أبو القاسم أحمد بن محمد بن محمد بن عبد العزيز التغلبي..أنظر، علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 161.

⁴ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 200.

المبحث الثاني: الطبقة الوسطى.

المطلب الأول: أصحاب الوظائف الحكومية المتوسطة.

اشتملت تحت هاته الطبقة المشتغلون في أجهزة الدولة كصاحب الأحكام وصاحب المدينة والمحتسب.

صاحب الأحكام: كان يعين بـصك، ويشترط أن يكون رجلا خيرا عفيفا عالما محتسبا في علوم الوثائق ووجوه الخصومات وأن لا يكون مرتشيا ولا يميل ولا يخاف خوفا لائما بالإضافة إلى الجرأة في الأحكام¹، ولصاحب الأحكام أجرة تضرب له من بيت المال كما له أعوان يتراوح أعدادهم من 7 إلى 10 وهذا لتقادي وقوع اعتراضات وخصومات حول حكم أصدره ويتقاضون أجرة يومية مقابل عملهم وتختلف أجرتهم حسب مكان عملهم في المدينة أو البادية².

صاحب المدينة: اشترط فيه أن يكون فقيها شيخا لأنه موجود في موضع حساس ولا يفتقد أثر من الأمور الكبار إلا بعد معرفة القاضي والسلطان بذلك³، كما له أعوان ولا يسمح لهؤلاء بدخول بيت أحد لا بالليل ولا بالنهار إلا بأمر القاضي أو السلطان نفسه بالإضافة إلى الحرس العرفاء الذين يستعينون بهم⁴.

المحتسب: وكل إليه وظيفة مراقبة الأسواق وتأديب المتلاعبين بالأسعار ولا بد من أن يتوفر للمحتسب شروط منها : أن يكون رجلا عفيفا خيرا حتى لا يتعاطى الرشوة وأن لا يكون من الطبقة الدنيا ، أن ديوان الحسبة من أهم الدواوين الدولة وليس بعد خطة القضاء أشرف من

¹ ابن عيرون، المرجع السابق، ص11.

² المرجع نفسه، ص ص11-12.

³ المرجع نفسه، ص 17.

⁴ المرجع نفسه، ص ص17-18.

خطة الحسبة¹، ولا بد أن يكون عارفا بأصناف المعيشة وحيل التجار حتى يعرف من الغش أثناء عملية البيع².

المطلب الثاني: التجار وأصحاب المهن

تنوعت الطبقة الوسطى بين شرائح اجتماعية مختلفة كالتجار والصيارفة وأصحاب الحرف والمهن الحرة كالأطباء والمهندسين وأصحاب الوظائف المتوسطة:

أ- التجار: كونوا طبقة اجتماعية حيث كانوا همزة وصل تربط الإنتاج بالاستهلاك وعن طريقهم يتم البيع والشراء وقد زحرت المدن المغربية كمراكش و فاس و طنجة و سبتة و أغمات و سبلماسة وغيرها من المدن المغربية بالمشتغلين بالتجارة³، ويمكن أن نقسم التجار إلى قسمين تجار الحملة وتجار الجملة:

تجار الحملة: أولئك الذين يقومون بشراء ما تنتجه البلاد من مواد وتصديرها إلى الخارج وفي نفس الوقت الاستيراد وما تحتاجه البلاد من بضائع وبيعها إلى تجار التجزئة⁴.

تجار القوافل: أولئك الذين إشتغلوا بالتجارة في الصحراء قد اهتموا بجلب الذهب والجلود والعاج مقابل بيع الملح والنحاس وآلات الحديد في العديد من الأقطار خاصة بلاد السودان المعروفة بالذهب والعاج⁵، والتجار الذين يدخلون بلاد الأندلس من أرفه الناس وأكثرهم أموالا⁶.

تجار الجملة: الذين اقتصرت رحلاتهم على المدن المغربية وقد كسب هؤلاء التجار أيضا أموالا وعقارات من وراء هذه التجارة⁷ ومن المدن المغربية والأندلسية المعروفة بالتجارة نجد مدينة سلا التي امتازت بسعة الأموال، والطعام بها رخيص جدا وقد عرفت أيضا بتجارة السمك ذي الجودة العالية لتوفرها على الوديان، حيث كانت توجهات التجار وجهت الأندلس

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص167، أنظر، السقطي، رسالة في أداب الحسبة، نشر ليفي بروفيسال، باريس، 1931م، ص5.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص12.

³ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص344.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 160 .

⁵ المرجع نفسه، ص 160.

⁶ ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص86.

⁷ الإدريسي، صفة المغرب، ص66.

الذين كانوا يقصدونها بكثرة لتلبية حاجياتهم من مختلف السلع¹ بالإضافة إلى المربة كانت في الأندلس قبلة المشتغلين بالتجارة وقد وصف أهلها بأنه لم يكن بالأندلس أيسر من أهلها مالا وأتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارة².

وكذلك قرطبة لهم أموال كثيرة وأحوال واسعة³، ومن بين العلاقات التجارية في المغرب الأقصى وغيرها من البلدان وفي مقدمتها منطقة جنوب الصحراء، كان التجار يستوردون الذهب والجلود والعاج وغيرها من بضائع غانة ويصدرون إليها الملح والنحاس المسبوك والآلات الحديدية المصنوعة⁴.

ووصف الإدريسي مدى ثراء أهل أغمات في عهد المرابطين بقوله: ما منهم رجل أي من أغمات يسفر عبيده ورجاله إلا في قوافله المائة والسبعون والثمانون حملا كلها موقرة ولم يكن في دولة الملثم أحد أكثر منهم أموالا...⁵ وكان تجار سبلماسة أيضا بهذا الثراء فمنهم كان كان له صك على آخر مبلغه أربعون ألف دينار⁶، ويقول ابن سعيد عن تجار سبته " وفيها أي أي سبته التجار الأغنياء الذين يبتاعون الركب الكبير بما فيه من بضائع الهند وغيرها بصفقة واحدة⁷، وقد ذكرت بعض النوازل حدوث مشاكل بين التجار والوكلاء أو بين الشركاء⁸ وقد عانى التجار سواء في المغرب أو الأندلس في أواخر الدولة المرابطية من الضرائب الباهظة التي كانت تفرض عليهم من طرف السلطة على كل أنواع السلع وعلى كل أصناف التجار، يقول الإدريسي كانت القبالة على كل شيء يباع أو جل كل شيء على قدره " ولعل هذا الارتفاع الضرائب من سبب حروبها ونفقات الجند المرتفعة⁹.

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص160.

² الإدريسي، المصدر السابق، ص197.

³ المصدر نفسه، ص211، إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص167.

⁴ الإدريسي، صفة المغرب، ص66، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص344.

⁵ الإدريسي، صفة المغرب، ص66.

⁶ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص344.

⁷ المرجع نفسه، ص344.

⁸ ابن رشد، المرجع السابق، ج2، ص872.

⁹ الإدريسي، صفة المغرب، ص70.

ناهيك عن تعرض التجار إلى قطع الطرق لقد كان التجار بالإضافة إلى أنهم في بعض الأحيان يصابون بكوارث تقضي على تجارتهم وتتبدل أحوالهم من الرخاء اليسير إلى الفقر والاحتياج وذلك نسبة لما حدث سنة 533 هـ بمدينة فاس حيث وقع حريق كبير بسوق المدينة دمرت فيه النيران كثيرا من أقسام السوق¹.

يمكننا القول في الأخير أن التجار كانوا شريحة من الطبقة الوسطى إذ كانوا يمثلون همزة وصل بين المنتج والمستهلك حيث كان يتم بفضلهم عملية البيع والشراء وسد حاجيات الرعية آنذاك.

ب- أصحاب المهن الأخرى: إلى جانب التجار لا بد التطرق إلى أصحاب المهن الأخرى التي شكلت هي الأخرى شريحة ضمن الطبقة الوسطى:

كان المرابطون يسعون إلى التأنق في الجانب العمراني وذلك بكثرة بناء القصور والبساتين وحرصهم على جلب الماء والإكثار من الحدائق مما يتطلب بذلك اهتمامهم بالمهندسين ويسعون إلى جلبهم من الأندلس حظوا برعاية وتشجيع الأمراء وذلك ما ناله المهندس الأندلسي عبيد الله بن يوسف من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي قام هذا المهندس باستجلاب المياه لمراكش بطريقة هندسية ذكية بواسطة الآبار المربعة فاستحسن ذلك أمير المسلمين من فعل عبد الله بن يوسف المهندس وأعطاه أموالا وأكرم مثواه².

كما شملت هاته الفئة على الأطباء غير المرتبطين بالبلاط المرابطي حيث مارسوا مهنتهم في حوانيت خاصة وانتشروا في المدن المغربية والأندلسية ومن بين الأطباء الأندلسيين ابن جوشن الأزدي، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت³ الذي يعد من أكابر الفضلاء

¹ ابن قطان، المصدر السابق، ص 246.

² الإدريسي، صفة المغرب، ص 68، إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 168.

³ أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، هو من بلد دانية، من شرق الأندلس وهو من أكابر الفضلاء، في صناعة الطب وغيره من العلوم وله التصانيف المشهورة والمأثر المذكورة، قد بلغ في صناعة الطب مبلغا لم يصله إليه غيره من الأطباء، وحصل من معرفة الأدب ما لم يصله غيره من الأدباء، وكان أوجد في العلم الرياضي، متقنا لعلم الموسيقى، جيد اللعب بلعود، فصيح اللسان، جيد المعاني، وأتى أبو الصلت من الأندلس إلى مصر وأقام بالقاهرة مدة، ثم عاد إلى الأندلس بعد ذلك، وكان دخوله للقاهرة سنة عشر وخمسمائة ولما كان في الإسكندرية حبس بها. أنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 501.

في صناعة الطب كما اتخذ سليمان بن عبد الرحمن العبدري مهنة الطب مصدرا لعيشه¹.
وأحمد بن عبد الله اللخمي القرطبي² وإبراهيم بن الصواف الحجري الشاطبي³ وأحمد بن عبد الله
بن موسى القيسي الإشبيلي⁴.

وتعاطى بعض اليهود كذلك مهنة الطب من بينهم : السموأل وأبو جعفر بن منادي ويهوذا
هاليقي⁵، أما بالنسبة لمكانتهم الاجتماعية فقد عاشوا حياة الاستقرار بفضل معاشهم ومنهم من
اشتهر وأقبل الناس عليه ومنهم من لم يحالفه الحظ وغادروا الأندلس إلى آفاق أخرى كابن
الصلت⁶.

المطلب الثالث: الصيارفة والسماسرة.

أ- الصيارفة

شريحة من شرائح الطبقة الوسطى تكمن مهنتهم في التيسير على المسلمين ولا بد
للصيرفي أن يكون عالما بأحكام الصرف لأن باب الصرف ضيق ليس كغيره فكثيرا ما يفتح

¹ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص122.

² أحمد بن عبد الله بن مضاء اللخمي القرطبي، ابن مهند بن عمير اللخمي قرطبي جيانى الأصل تأدب في العربية بأبي بكر
بن سليمان، بن سمحون و أبي القاسم عبد الرحمان بن رماك ودرس عنده كتاب سيبويه، وأبو القاسم بن بشكوال من شيوخه
أيضاً، روى عن خلائق منهم أبو بكر بن الشراط ومحمد بن عبد الله القرطبي ومحمد بن عبد النور.. وخلائق لا يحصون كثرة
من جلة أهله وكان مقرئاً مجوداً، محدثاً كثيراً قديم السماع، واسع الرواية، وعاليها، ظابطاً لما يحدث به، نشأ منقطعاً إلى
طلب العلم، وعني بأشد العناية بقاء الشيوخ و الأخذ عنهم فكان أحد من ختمت به المائة السادسة من أفراد العلماء و أكابرهم،
ذاكر لمسائل الفقه، عارفاً بأصوله، متقدماً في علم الكلام، ماهراً في كثير من علوم الأوائل كالطب والعلوم والحساب.. ثاقب
الذهن متوقد الذكاء.. أنظر، ابن فرحون، المصدر السابق، ص120.

³ إبراهيم ابن الصواف الحجري الشاطبي، إبراهيم ابن ابي الفضل ابن صواف الحجري من أهل شاطبة، روى عن أبي عمر
بن عبد البر، وأبي الحسن بن سيدة، وكان من أهل المعرفة للغة العربية والأدب، وتجول في البلاد معلماً بها، وعنه أخذ بن
إبراهيم بن خفاجة، وله في المدح ثم تعلم الطب وقعد بطنجة للعلاج فيها، واستقر آخر عمره بمدينة فاس سنة ست وخمسمائة
وتوفي في حوالي ست وخمسمائة. أنظر، أحمد بن القاضي الكناسي، المصدر السابق، ج1، ص88.

⁴ أحمد بن عبد الله بن قيسي الإشبيلي هو أحمد بن عبد الله بن موسى القيسي الأشبيلي أبو العباس، روي عن أبي بكر بن
عبد الله ابن العربي، وكان من أهل العفاف والزهد، معروفوا بلصلاح والخير، ولي الصلاة والخطبة بجامع سلا، وكان ذا بصر
بالطب، توفي بمدينة فاس سنة 571هـ. أنظر، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي،
المصدر السابق، ج1، ص367.

⁵ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ص46-47.

⁶ ابن الأبار، المقتضب، ص56.

باب الربا والعملات تختلف من مدينة لأخرى وعلى سبيل المثال نجد عملة المغرب تختلف عن عملة الأندلس من حيث الشكل والوزن مما دعا الصيارفة إلى اللجوء إلى طرق التحايل وكسب الأموال¹، تمكن الصيارفة من تحقيق أرباح هامة بفضل مهنتهم هاته²، ويؤكد ابن عبدون عن هذا الغش والربا بقوله : أن اختلاف السكك يدعو إلى فساد النقد والزيادة في الصرف³.

ب - السماسرة:

عرف السماسرة أيضا من الطبقة الوسطى إذ كانوا يمثلون دور الوسيط بين البائع والمشتري وكانوا يكسبون الأرباح بهاته الطريقة⁴، وازداد نشاط السماسرة داخل الأسواق بكثرة المغارم والضرائب التي كانت تفرض على التجار بحيث قام التجار استخدام السماسرة لبيع سلعهم مقابل المال يأخذه السمسار⁵، وقد وقعت خلافات بين السمسار والتجار بسبب مطالبتهم الأموال مع التجار في الأسواق ووصل منهم العمل تاجرا وسمسارا في آن واحد، والراجع أن دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف كانوا يعرفون دخل التجار عن طريق السماسرة ومن ثم تقدر في المغارم الواجب فرضها على التجار وتجنبنا لدفعهم تلك المغارم أو تخفيفها يكون الاتفاق مسبقا مع السماسرة⁶.

حصيلة القول مما سبق نلاحظ أن الطبقة الوسطى رغم مكانتها الاجتماعية التي تبوأتها بفضل تلك الثروات التي حازت عليها عن طريق تحقيق الأرباح كالتجار أو بطرق غير شرعية كالصيارفة والسماسرة ورغم ذلك فإن هاته الطبقة ظلت بعيدة عن بذخ وترف الطبقة الخاصة.

¹ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص ص 121-122.

² إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 163.

³ ابن عبدون، المرجع السابق، ص 58.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 164.

⁵ الونشريسي، المصدر السابق، ج 5، ص 32.

⁶ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 120.

المبحث الثالث: الطبقة العامة

يرجع سبب تسميتهم بالطبقة العامة إلى كثرتهم وعدم الإحاطة بهم وبذلك اختلفوا عن الطبقة الخاصة ولم يكن اختلافهم عن الطبقة الخاصة لكثرة عددهم فقط بل بكونهم ليسوا أصحاب سلطة¹.

المطلب الأول: الصناع والفلاحون

أ-الصناع: يعتبر الصناع من بين أهم فئات الطبقة العامة التي لا يمكن الاستغناء عنها وذلك بسبب الدور الكبير الذي لعبته وساهموا نظرا لهاته الأهمية يقول المقرئ: "أن الجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتعلم صنعة ويربأ بنفسه أن يرى فارغا على الناس"²، واعتبر أن الصنعة أول ما يجب على الإنسان تعلمه بعد معرفته بدينه باعتبارها مصدرا للرزق، إن نشاط هؤلاء الصناع يزدهر ويتطور مع اتساع العمران وتطور المدن وكثرة السكان وهذا ما يتفق مع ما ذهب إليه ابن خلدون في حديثه عن العلاقة بين تطور الصنائع وتطور العمران البشري بقوله: "إن الصنائع دائما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرتة"³.

لذا كان الإقبال الكبير للعامة على تعلم الصنعة وعليه فلا غرابة من تكليف أهل السوس و أغمات ونسائهم وصبيانهم التصرف والتكسب⁴، ويقول صاحب الاستبصار من أنه شاهد بأمر عينيه الأطفال الصغار وهم يشتغلون بالأرجاء⁵، أي أن الإنسان الذي لم يكن متعلما أو ذا صنعة يستحسن له أن يتقن صنعة من الصنع ليسترزق منها وتكون له أجرة من ورائها ويتنوع الصناع والحرف في العصر المrabطي.

فقد قسمها إلى قسمين ابن خلدون القسم الخاص بالأسر والمعاش ضروريا كان أو غير ضروري كالخياطة والجزارة والتجارة والحدادة و أمثالها القسم الثاني، هي خاصية الإنسان

¹ جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص166.

² المقرئ، نفح الطيب، ج2، ص106.

³ ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص427.

⁴ أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص163.

⁵ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص183.

كالوراقة والتجليد والغناء¹، وأشتهر صناع المغرب والأندلس بحذق الصناعات اليدوية فأهل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية وأحكام المهن²، فكان لأهل فاس اليد الطولى في صناعة المخروطات الخشبية والنحاس، مما لا شك فيه أن بناء مدينة مراكش توجب استدعاء العديد من الحرفيين والصناع أغمت وتشير المصادر إلى تنوع الصناع في هاته الحقبة فهناك الحداد والخياط والحائك والتجار وصانع أعمدة السيوف والسكاكين³.

وضعيتهم الاجتماعية : كان الصناع والحرفيون أحسن حالا في المرحلة الأولى من الحكم المرابطي بفضل الأمن الذي كان يعم المغرب والأندلس وما صاحب ذلك من حاجة الدولة إلى الصناعات الحربية خاصة⁴، وأنهم لاقوا التشجيع والحماية إلا أن بعض النوازل تذكر ما تعرض له الصناع والحرفيون من مضايقات من قبل المحتسب⁵.

وقد كان احتكاك الصناع في المغرب بصناع الأندلس الأثر الكبير في تنوع وازدهار هاته الصناعات نظرا لتطورها في الأندلس آنذاك⁶، من بين المدن المغربية مدينة إيجلي⁷، اقتصت اقتصت بصناعة السكر والنحاس المسبوك⁸، واشتهرت المرية بطراز الحرير⁹، كما عجزوا عن عن كراء الحوانيت لمزاولة عملهم ومنهم من اشتغل بمنزله¹⁰، واختص أهل غرناطة بصناعة ثياب الحرير، ومدينة المرية في أيام الملثمين كان بها من كل الصناعات وكان بها من طراز الحرير... (800) طراز الحلل¹¹...

¹ ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص426.

² محمد بن أيوب ابن غالب، فرحة الأنفس من تاريخ الأندلس، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1955م، ص283.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص171.

⁴ المرجع نفسه، ص172.

⁵ المرجع نفسه، ص172.

⁶ الإدريسي، المصدر السابق، ص152.

⁷ إيجلي، هي قلعة حصينة في بلاد المصامدة من البربر بالمغرب في جبل لا يغيب فيه الماء ولا يركبه الموج. ياقوت الحموي، الحموي، المصدر السابق، ج1، ص287-288.

⁸ البكري، المغرب...، ص162.

⁹ الإدريسي، المصدر السابق، ص197.

¹⁰ مجهول، الاستبصار، ص188.

¹¹ عبارة عن نشيج حريري على خيوط الذهب. أنظر، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المرية الإسلامية قاعدة الأسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984م، ص157.

ونلاحظ أن الصناع يشكلون جزءا مهما من الطبقة العامة في المجتمع المغربي الأندلسي في عصر المرباطين وذلك بفضل حرفهم وإتقانهم للصنائع التي كانوا يستفيدون منها آنذاك وكانوا يشكلون عدة طوائف:

طائفة صانعي الثياب: وتضم عدة حرف تقوم على تحويل المواد الخام على الملابس القطنية والصوفية وغيرها من أنواع الملابس¹، ومن الصناع من يستغل نسيج المادة الخام ومن ومن بين هؤلاء أبو الربيع سلميان عبد الرحمن بن المعز الصنهاجي المعروف بالسلماني²، وكان زاهدا ورعا سكن سلا يحترف النسيج ثم يأتي بعد ذلك صانعو الثياب وهم الحاكة ومنهم أبو العباس الحباب³ الذي كان يعمل خياطا بمدينة مراكش توفي سنة (592هـ - 1196م).

طائفة البنائين: وقد إشتغل في البناء جماعة كبيرة من الصناع نتيجة الحركة العمرانية التي شهدتها البلاد من كثرة بناء المساجد والمدارس والمنازل مما استلزم قيام جماعات بالبناء، بالإضافة إلى عدة طوائف منها طائفة السلاح وصانعو الخبز وصانعو الورق...⁴

ب- الفلاحون: وهم طبقة عاشوا في الأراضي الزراعية واستخرج ما فيها من مختلف المزروعات والثمار وقد انتشروا في كثير من مناطق المغرب فالمصامدة كانوا زراعا وكانوا كذلك قبائل تماسنا وغيرها من القبائل التي امتهنت الزراعة وهؤلاء عماد حياتهم الزراعة الأرض وبيع محاصيلهم وفي بعض الأحيان كان الزراع يعانون من ظلم جباة المحاصيل وجامعي الضرائب⁵، فالفلاحة يقول ابن عبدون: "هي العمران ومنها العيش كله والصلاح جله وفي

¹ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص347.

² أبو الربيع سلميان عبد الرحمن بن المعز الصنهاجي، هو أبو ربيع بن سليمان عبد الرحمان، بن المعز الصنهاجي المعروف بالتمساني أخذ عنه أبو بكر بن خلف، وأبو العباس بن أحمد المعروف بالحصار، وكان زاهدا ورعا، سكن سلا كان محترفا بالنسيج.. لتفصيل أنظر، أبي زكرياء يحيى ابن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، طبع بمطبعة ببيرون بونطانا، الجزائر، 1903، ج1، ص38.

³ أبو العباس الحباب المقعد، من أهل مراكش، كان يعمل خياطا يأكل من كد يمينه وكان عبدا صالحا توفي عام اثنين وتسعين وتسعين وخمسائة، دفن في تاغزوت، قال عنه أبا موسى عيسى بن أبي عيسى السوسي: "يقول أن بت يوما مع أبو العباس الحباب رأيته يقوم في جوف الليل إلى ورده ليصلي" فقلت له: ما هذا؟ فقال لي: "أكتم علي". أنظر، أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف بابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق، أحمد التوفيق، ط2، مكتبة الإسكندرية، 1990م، ص295.

⁴ المرجع نفسه، ص347.

⁵ المرجع نفسه، ص347، ابن غازي، الروض الهتون، الرباط، 1952م، ص12.

الحنطة تذهب النفوس والأموال و بها تملك المدائن والرجال وببطالتها تفسد الأحوال"¹، ويقول ابن خلدون "تحصيل الرزق وكسب من النبات في الزرع والشجر لاستخراج الثمرات، أي أنها كانت وسيلة للرزق وكفيلة بضمان الفرد عيشه"².

تعددت وتنوعت المحاصيل الزراعية بالمغرب والأندلس وإقبال العديد من العامة عليها وهذا ما يؤكد الحميري بوجود 400 رحي أو أكثر³، تنوعت المحاصيل الزراعية فنجد فاس تميزت بكثرة الخس و الأرجاء وكثرة البساتين⁴، والفواكه وجمع الثمار واشتهرت مكناس⁵ بكثرة الزيتون، أما في الأندلس فاشتهرت المرية بكثرة الفواكه والبساتين كان الفلاحون يعانون من نقص المياه فساروا إلى حفر الآبار وبناء المخازن لحفظ مياه الأمطار⁶.

المطلب الثاني: صغار التجار أو الباعة المتجولون

شكلت هاته الشريحة قطاعا عريضا ضمن الطبقة العامة ويأتي على رأس هاته الشريحة التجار الصغار الذين يبيعون السلع بالتقسيط ويسدون حاجيات السكان من مطالبهم اليومية⁷.

فهي محاولة المكسب بقيمة المال وبشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء وأينما كانت السلعة⁸، وكانت السلع تعرض في الأسواق فكان لكل نوع من أنواع التجارة سوق باسمه⁹، وكانت لسلع التجار تختلف من الخضر والفواكه التي ترد من القرى القريبة المغربية والأندلسية وما يجاورها تنتشر باعة اللحوم من بقر وماعز وغنم¹⁰، كما كان لتجار الأحذية شارع خاص بهم يعرف

¹ ابن عبدون، المصدر السابق، ص5.

² ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص408.

³ الحميري، المصدر السابق، ص434.

⁴ المصدر نفسه، ص ص434-435.

⁵ مكناس، هي مدينة بالمغرب في بلاد البربر بينها وبين مراكش 14 مرحلة مشهورة بالزيتون...أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص181.

⁶ جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص107.

⁷ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص174.

⁸ ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص420.

⁹ ابن عبدون، المرجع السابق، ص43.

¹⁰ المرجع نفسه، ص ص43-44، السقطي، المرجع السابق، ص32.

باسم سكة الإسكافيين¹ وهناك من انتصب في دكانه لبيع الأطعمة كبائعي الإسفنج والهريسة ويسميه الإدريسي بالدخانين ونظرا لارتفاع ثمن كراء الدكاكين فرض على الباعة التجول في الطرقات لكسب رزقهم، إلا أن أعوان المحتسب كانوا يطاردونهم في الطرقات²، إلا أن هناك كثير من الباعة توجهوا إلى الغش والتحايل ومن بينهم باعة العبيد أكثر تحايلا للزبناء³، كما وضعت شروط لهؤلاء الباعة يلتزمون بها ومنعوا من البيع قرب المساجد ومنع بائعو السمك واللحم من أخذ الربح الكثير وفي هذا الصدد يقول ابن عبدون "يجب ألا يترك بائعو اللحم والحوث وغير ذلك أن يربحوا ربحا كبيرا فضلا عما تعرض له الباعة من مضايقات⁴ وقد تنوع الباعة والتجار الذين وجدوا في كل من المغرب والأندلس من خبازين وبائعي اللحوم والحوث وأنواع المطبوعات⁵ كما نشط تجار المغرب والأندلس في تجارة الحبوب لأنها تقوت العامة⁶.

المطلب الثالث: المهمشون

شكلت هاته الطبقة من المتسولون والعاطلين والشحاذين والسحرة... غير ذلك نقصد بهم الشرائع الاجتماعية غير المنتجة التي نشأت عن تحولات اقتصادية واجتماعية المجتمع المرابطي وازدياد حركة البذخ والترف⁷ وعجزت السلطة عن إدخالهم وإدماجهم في المجتمع وذلك بسبب الفوارق الطبقية التي كانت فهذه الشريحة من أصول اجتماعية فقيرة ومظلومة⁸ ومن بين هاته الفئات:

أ- المتسولون: في هذا الموضوع أشار ابن عبدون في قوله: لا يجب أن يترك ساع يسعى يوم الجمعة في داخل الجامع ويتخطى رقاب الناس ويفخر عند السعادة ويؤدب من يعمل ذلك... لا يترك ساع يسعى في رحاب الجامع إذا ارتقى الإمام على المنبر يخطب⁹، وذلك لاستدراج

¹ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 130.

² إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 115.

³ المرجع نفسه، ص 175.

⁴ ابن عبدون، المرجع السابق، ص 53.

⁵ السقطي، المرجع السابق، ص 35-36.

⁶ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 131.

⁷ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 189.

⁸ المرجع نفسه، ص 189.

⁹ ابن عبدون، المرجع السابق، ص 24.

عطف المصلين يوم الجمعة¹، أما المقري يقول: "أن عددهم كان قليلا في الأندلس بحجة أن عادة الأندلسيين إذا رأوا شخصا قادرا على الخدمة يطلب أهانوه وسبوه"²، غير أن ابن عبدون يؤكد على تكاثرهم في الحقبة المرابطية.

فكان متسولو المغرب الأقصى ينتشرون في مختلف المدن كفاس ومراكش إذ أن المتسولين لقوا عطا في رجال المتصوفة ذكر يحي بن محمد بن عبد الرحمن التادلي³ الذي كان له غرفتان من القمح بمدينة فاس تصدق بهما ولم يترك شيئا لابنه الأعمى فكان متسولو الأندلس يقومون بجولات في الطرقات وينشدون مقاطع من الأغنيات الشعبية لكسب العطف.

ب - قطاع الطرق: هي شريحة أساسية ضمن هاته الشرائح المهشمة وذلك بسبب التمايز الطبقي الاجتماعي الذي أفرزته الحضارة والترف نتج عنه ظهور فئة عاجزة عن تحصيل عيشها فاتخذت اللصوصية سبلا⁴، وأشار ابن عبدون إلى صفات قطاع الطرق كالشعر الطويل الطويل وحملهم للرماح كما أنهم كانوا يستهدفون كبار الملاك والأثرياء وأرباب المواشي⁵.

وقد سعوا للقضاء على قطاع الطرق وذلك ما يؤكد ابن عبدون بقوله: أن لا يكتفوا بالقيام بدورة واحدة في المدينة بل عليهم القيام بدورات لأن السراق و الذعرة و الطائفين بالليل يترقبون مشي الحرس وينطلقون بعد ذلك⁶، لكن جهود الدولة لم تغلح في السيطرة عليهم حتى اضطر السكان إلى تحصين أنفسهم بإصلاح الأسوار والدروب⁷، بينما يؤكد ابن عذارى حين تحدث عن أهل قرطبة فذكر "أنهم كانوا في بلاء عظيم يتحارسون الليل كله ويكابدون من روعات طرقاته ما لا يكابد أهل الثغور من العدو غير أن ابن سعيد يؤكد: لا تكاد في الأندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارح و فلان ذبح في فراشه.

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص189.

² المقري، نفح الطيب، ج2، ص220.

³ هو أحمد يحي بن محمد بن عبد الرحمن التادلي من أهل تادلة سكن مدينة فاس توفي سنة 516هـ. أنظر، ابن القاضي جذوة الاقتباس، في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار منصور للطباعة والنشر، الرباط، 1973م، مج1، ص 542-543.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص190.

⁵ الوشريس، المصدر السابق، ج9، ص11.

⁶ ابن عبدون، المرجع السابق، ص18.

⁷ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص191.

حتى أن مراكش أصبحت مأوى للصوم¹ ولم يكن الأندلس أحسن حالا من حيث أشار ابن الخطيب: إلى كثرة التعدي في الطرق...² ونلاحظ كذلك اهتمام الأمراء بهاته الظاهرة وذلك ما نستشفه من الرسائل التي كتبها ابن خاقان على الأمير المرابطي الذي سعى إلى معاقبتهم وضرب على أيديهم دون رحمة³.

المطلب الرابع: فئات أخرى

أ-الأيتام: تضم هاته الشريحة الأيتام أيضا الذين حرّموا من آبائهم بسبب الحروب أو نتيجة وفاة طبيعية فأصبحوا دون ولي يعيّلهم وقد كان في عصر المرابطين حروب وصراعات عديدة سواء مع النصارى في الأندلس أو مع الجيش الموحي حيث خلف وراءه أسرى وأبناء دون إعالة⁴.

وقد أوردت بعض النوازل عن اليتيم إذا مات والده فإن وصيته تعهد إلى جده أو عمه وقد يكتب أبوه وصية قبل أن يموت يوصي فيها لأحد⁵، وتكمن مهمة الوصي في رعايته والإشراف عليه وله الحق في معرفة مال ذلك اليتيم والإشراف عليه واستثمار ماله في التجارة مثلا أو شيء من هذا القبيل يعود عليه بالفائدة والربح⁶، وإذا كان اليتيم قد مات أبوه فصلاحيّة القاضي القاضي أن يختار لهذا اليتيم من يراه أصلح ليقوم برعايته وتربيته⁷، ولا ننسى أن الله سبحانه وتعالى أوصى باليتيم والرفق به بقوله : " ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك ضالا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر"⁸.

¹ المرجع نفسه، ص190.

² ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 249.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص191.

⁴ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص147.

⁵ ابن رشد، المصدر السابق، ج1، ص198.

⁶ الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 456 .

⁷ المرجع نفسه، ج6، ص426.

⁸ القرآن الكريم، سورة الضحى، الآيات من 6-9.

ب - العبيد والأسرى

تأتي هاته الشريحة في أسفل السلم الهرم الاجتماعي أما بالنسبة لوضعيتهم الاجتماعية في المغرب والأندلس تكمن في احتياج الطبقة الخاصة والوجهاء إليهم للخدمة داخل البلاط والدور أو للمتعة والترفيه¹، كما سبق القول بأن القصور اكتظت بالعبيد والجواري والخدم بالإضافة إلى اهتمام الأمراء بهذا الجانب من بينهم يوسف بن تاشفين أثناء توليه السلطة اشترى قرابة ألف عبد من السودان²، ومن أسباب تواجدهم في المغرب أو الأندلس يشمل في حاجة المرابطين إلى استغلال طاقتهم الحربية وتمرسهم بأمور القتال خاصة العبيد السود.

وتمثل السبب الثاني: للسهر على تجارة القوافل وحراستها³، ويؤكد عن ذلك البكري بقوله: أن تجار أود غشت أموال عظيمة ورقيق كثير كان للرجل منهم ألف خادم وأكثر⁴. ومن أسباب أسباب تواجدهم أيضا لخدمة البيوت المنزلية يذكر أبو حامد الغرناطي أن سائر السودان ينتفع بهم في الخدمة والعمل⁵، وما أشارت إليه الأمثال الشعبية التي تدل على وجودهم بكثرة داخل المنازل وكشفت على أن الرعايا فضلت العبيد السود على البيض لتحملهم وصبرهم للأعمال الشاقة⁶، وكانوا يجلبون من أسواق النخاسة أو من الحروب والغزوات التي وفرت العديد من عبيد الإفرنج⁷، وبالنسبة لأسواق النخاسة شكلت سببا هاما في تواجدهم وكثرتهم حيث تؤكد هذا كتب الحسبة التي تذكر عن أسواق الجواري والعبيد المجلوبين من كافة أنحاء المعمورة⁸ وتم جلبهم من طرف تجار الصحراء⁹، فلم يكن غريبا أن يكون في منازل الأثرياء عبيد بمنزله¹⁰.

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، ص194.

² ابن عذارى البيان، ج4، ص230.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص199.

⁴ أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص168.

⁵ أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب، ص43.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص195.

⁷ الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص69.

⁸ السقطي، المرجع السابق، ص50.

⁹ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص195.

¹⁰ المرجع نفسه، ص195.

وضعتهم الاجتماعية: فقد عاشت هاته الفئة حياة مزرية ولم يكن الفرد يتمتع بحقوقه إلا بأخذ الإذن من سيده فقد كان خضوع العبيد لأسيادهم مطلقا ولا يحق لهم التصرف في أي أمر من الأمور¹ ولا يحق كذلك للعبد الأسود أن يتزوج من امرأة بيضاء ويستهنئون من وقوع ذلك في الحالات النادرة... ولم يكن يحق لهم حمل أسماء الأحرار بل لهم الأسماء الملائمة للرقيق وحتى المرأة السوداء كذلك منعت من قضاء بعض الأعمال والواجبات الاجتماعية كالعزاء فإن فعلت عوقبت على ذلك².

لذا يمكننا القول بأن هاته الشريحة المتمثلة في العبيد عانت من سوء الأحوال الاجتماعية وقد وصلت إلى حد السخرية والاستهزاء والإذلال رغم ما قدمت لهم وما ساهمت به هاته الطبقة في المجتمع المرابطي، نلخص في الأخير أن الطبقة العامة شكلت السواد الأعظم من سكان المغرب والأندلس وتكونت من شرائح اجتماعية تميزت معظمها بالفقر والحرمان.

وفي الأخير لدراسة طبقات المجتمع المرابطي التي تنقسم إلى ثلاث طبقات الحاكمة والوسطى والعامة فالطبقة الحاكمة التي كان تتحكم في الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيش حالة البذخ والترف ويلبها الطبقة الوسطى التي حاولت جاهدة إلى الوصول للارتقاء إلى مستوى الطبقة الحاكمة إلا أنه لم يكن لها الحظ، فعاشت وضع التوسط والاعتدال إلا أنها أحسن حالا من الطبقة العامة التي كانت في أسفل الهرم الاجتماعي يميزها مستواها المتواضع، وما نلاحظه التمايز الطبقي الذي ساد في المجتمع المرابطي.

¹ المرجع نفسه، ص196.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص184.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: مظاهر الحياة الإجتماعية (القيم السائدة - الأفات الإجتماعية)

المبحث الأول: الأسرة.

المبحث الثاني: العادات والتقاليد.

المبحث الثالث: الألبسة والأطعمة.

المبحث الرابع: القيم السائدة والأفات الأجتتماعية.

المبحث الأول: الأسرة.

عرف أفراد المجتمع المرابطي سواء في المغرب كان أو في الأندلس بعض العادات تميزه عن غيره بداية من الأسرة وما تتضمنه من زواج وعادات وتقاليده والمتمثلة في الاحتفالات التي كانوا يحتفلون بها بالإضافة إلى المأكولات ولباسهم الذي كان يتميز عن لباس الطبقتين الخاصة والعامة، وكانت الأسرة نواة المجتمع تتكون عادة من الزوج والزوجة وأبنائهما وكان الزوج يحق له أن يتزوج بأربع زوجات غير أن بعض أمراء جدالة ولمتونة كانوا يتزوجون بأكثر من العدد الشرعي وذلك قبل قدوم عبد الله بن ياسين¹، وذلك لقول ابن أبي زرع وكان يحيي قد أنزله معه أي أنزل معه ابن ياسين فوجد عنده تسع نساء فسأله عنهن فقال: هن زوجاتي: فقال له الفقيه: هذا شيء لا يجوز في دين الإسلام وإنما يجوز ذلك أربع مفارقا خمسا أجابه بالسمع والطاعة².

المطلب الأول: الزواج

يبدأ الزواج عادة في الخطبة وكانت عملية الخطبة تقوم به النساء المسنات على سبيل وصل بين الفتى والبنت³ ويعتبر يوم الجمعة اليوم المفضل لهاته المناسبة وإذا لم يكن للبنت ولي يتوجه إليها شاهدان يعرضان عليها الأمر فإن سكتت فإنه علامة القبول والرضى⁴، ومن شروط الزواج أن تكون بكرًا⁵، وبالرغم من ذلك فإن منهم من اختار المرأة الثيب مثل زينب النفزاوية⁶ خاصة أنها جمعت بين الجمال والمال⁷ وكانت من الصفات المرغوبة في المرأة أن يكون لها طيب الأصل وحسن الكمال وكمال الدين⁸ في حين كان للبنت حرية القبول أو الرفض خاصة في العائلات الوجيئة حيث كانت لها حرية اختيار شريك حياتها مثل زينب النفزاوية، يذكر ابن عذارى

¹ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 406.

² ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ج 2، ص 11.

³ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 167.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 23.

⁵ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 169.

⁶ زينب النفزاوية، امرأة جميلة تعرف بزینب النفزاوية شاع ذكرها وأمرها فاعلم أبو بكر بجمالها وتزوجها فوعده بمال كثير وتزوجت بيوسف بن تاشفين بعد نكحت ثلاث من قبله وقال ابن خلدون أنها كانت مشهورة بالجمال والرياسة. أنظر، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 4، ص 18، أنظر أيضا، ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 244، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 169.

⁷ المرجع نفسه، ص 169.

⁸ المرجع نفسه، ص 23.

أنه تقدم لخطبتها الكثير من شيوخ وأمرء واشترطت أن تكون زوجا ممن يقدر على حكم المغرب¹، كما يشير ابن الأبار إلى الشاعرة زهون بنت القليعي رفضت رجلا قبيح الوجه طلب يدها² خاصة خاصة أنها كانت في غاية الجمال والحسن³ وكان زواجهم لا يقتصر على بني جلدتهم فقط بل تعدى ذلك، نجد أن الوزير ابن جامع⁴ تزوج من تركية⁵.

أما ما يخص المهور فكانت تختلف قيمتها حسب الوسط الاجتماعي والبيئة حيث لم يكن مكلفا في المناطق الصحراوية وذلك بدليل أن يوسف بن تاشفين كل ما يسمع بامرأة جميلة خطبها ويقول البكري "أنه لا يجوز أربعة مثاقيل"⁶، وما نستشفه أن المهر في الأندلس كان أكثر قيمة وصل إلى 60 مثقال ناهيك عن الثياب والجواهر فكان يتم نقده عينا أما إذا دفع نقدا فلا يكتب في العقد بحسب الدينار المرابطي بل حسب صرف كل مدينة⁷ ومن عجز عن دفعه كاملا دفعه بالقسط⁸.

الأسرة بالأندلس: حث الإسلام على الزواج فقد أشار القرآن الكريم إلى الزواج بقوله: "والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم الطيبات"⁹ وهنا نجد أن الإسلام يحث على الزواج إلا أنه وجد من كان عازفا عن الزواج ومنهم من عدد الزوجات مثل عبد الله بن ياسين¹⁰.

¹ ابن عذارى المراكشي، البيان، ج4، ص18.

² ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، ص216.

³ المقرئ، نفح الطيب، مج4، ص295.

⁴ الوزير أبين جامع، إدريس بن إبراهيم بن جامع، أحد وزراء عبد المؤمن بن علي، ثم أبنيه يوسف تولي الوزارة، حتى 573هـ تولاه مدة 15 عاما، نكبه يوسف هو وأبنيه واستصفى أموالهم ونفاهم إلى مدينة ماردة الأندلسية، مكثوا فيها مدة 6 سنوات، حتى وفاة يوسف فلما تولى أبنيه المنصور عفى عنهم... لتفصيل أنظر، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص214، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، صص 239-240، عبد الواحد مراكشي، المعجب، ص316.

⁵ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص167.

⁶ أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص169.

⁷ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص24.

⁸ ابن رشد، المصدر السابق، ج1، ص180.

⁹ القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 72.

¹⁰ ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص16، أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص169.

وتوجد بعض النساء من عزفت عن الزواج مثل الرجال مثل عائشة القرطبية¹ عزفت عن الزواج وتفرغت للعلم.

أما بالنسبة للمهر أو ما يعرف بالصدّاق أو الصّاع وكثيرا ما ترد لفظت الساق في المجتمع الأندلسي سواء عند العامة أو الخاصة² وما نستشفه أن المهر في الأندلس كان أكثر قيمة من المناطق الصحراوية حيث وصل إلى 60 مثقال ناهيك عن الثياب والجواهر³. وصل البعض إلى إضافة بستان أو إحدى العقارات⁴.

المشاكل الأسرية: رغم ترابط الأسرة إلا أنه يقع في بعض الأحيان سوء تفاهم الذي عادة ما يتفاقم الأمر إلى أن يصبح نزاعا تختل به العلاقة وما يؤكد البكري ذلك الفقيه المرابطي كان يتزوج عددا منهم ويطلقهن⁵، ولا يقتصر ذلك على الرجل بل كانت المرأة كذلك تطلب الطلاق مثل زينب النفزاوية طلبت الطلاق من أبي بكر بن عمر⁶.

نفقة الطلاق: كان الطلاق لا بد له نفقة فقدرت على الرجل الفقير لزوجته ربع ونصف دقيق وثمان زيت وحمل الحطب وأربعة دراهم الصرف وبيت تسكنه مع نصف درهم للشهر⁷ أما نفقة الابن كان كان يتساوى فيها الغني والفقير⁸.

¹ عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم قرطبية كانت أعدل أهل زمانها وعلماء وأدباء.. ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 131-132.

² مريامة لعناني، الأسرة الأندلسية في العصر المرابطي والموحدي، إشراف عبد العزيز فيلالي، مذكرة لنيل الماجستير، تخصص تاريخ حضارات بلاد المغرب والأندلس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، دس، ص 28.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 24.

⁴ الونشريسي، المصدر السابق، ج 3، ص 129.

⁵ أبي عبيد الله البكري، المغرب...، ص 169.

⁶ ابن عذارى، البيان، ج 4، ص 21.

⁷ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 179.

⁸ المرجع نفسه، ص 179.

المطلب الثاني: مكانة المرأة.

تمتعت المرأة في العصر المرابطي المغربي الأندلسي بمكانة مرموقة خاصة في الحياة العامة وأعظم حرية ونفوذاً فكانت المرأة الصحراوية هي الركن الأساسي لبناء حياة اجتماعية واقتصادية فكانت ترعى الإبل والأغنام وتطهو الطعام وتربي الأولاد¹.

ورفع الإسلام من مقام المرأة وأعطى ووفر لها كل الحقوق والواجبات وأعلى من شأنها إلى أن وصل الأمر بها إلى منافسة الرجل وأصبحت شريكته في كل ميادين الحياة² ويمكن القول أيضاً عنها أنها وقفت مع الرجل في الحروب وكذا في التسيير فظهرت منهم المثقفة والعالمة والمربية وعلى كل حال فإن المرأة في العهد المرابطي لعبت دوراً بارزاً في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي³، إذ كانت تعتبر المرأة أحد أفراد الأسرة حين تكون أما أو أختاً فتساهم في بناء المجتمع المجتمع وتزدهر كتب الأزجال والأمثال عن نظرة المجتمع السلبي والإيجابي:

النظرة السلبية: تكمن في أنها مصدر شقاء وبؤس وهدم في المجتمع المرابطي وأن لا خير ولا ثقة فيها وذلك ما جاء في أمثالهم: "ليس في النساء خير" و"لا تثق بها لو كانت أختك"⁴، وأنها لا تليق تليق إلا للضرب بالعصا ويلعن كل من يعامل المرأة بلباقة⁵، ويقول فيها أبو حامد الغرناطي إن عقول النساء أصغر من عقول الصبيان⁶.

النظرة الإيجابية: يذكر ابن الخطيب، "أن المرأة الغرناطية بالأدب ونبل الكلام وحسن المعاشرة"⁷، المعاشرة⁷، وصفهن كذلك بالجمال واعتدال الأجسام واسترسال الشعور إلا أن الطول يندر فيهن⁸، فيهن⁸، فكانت المرأة المرابطية تتمتع بالحرية في هذا العصر وإذا ألقينا نظرة على حجاب المرأة

¹ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص 331.

² حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 308.

³ المرجع نفسه، ص 308.

⁴ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 65.

⁵ المرجع نفسه، ص 65.

⁶ أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب، ص 15.

⁷ ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 40.

⁸ المصدر نفسه، ص 40.

فإنها سافرة الوجه¹، وليس الغريب أن الرجل كان يتلثم والنساء عكس ذلك²، أما عند الأسر الحاكمة فرض عليها الحجاب³، ويدل ذلك على حرص حرمة الأندلسيين ويقدر ما كانت حرص على الحرمة إلا أن منهم من انحرفن حيث كن يذهبن بحجج زيارة القبور التي تصبح أماكن المواعيد⁴.

وأكبر مكانة حظيت بها المرأة هي انتساب الرجال إلى أمهاتهم وانتشر ذلك في الأندلس خاصة فانتسب القادة والأدباء إلى أمهاتهم كابن عائشة⁵ وابن القابلة⁶ وابن اللبانة⁷.

أما بالنسبة للمكانة التي وصلت إليها المرأة في الجانب الاجتماعي والثقافي:

أ- الجانب الاجتماعي: تقوم بالأعمال المنزلية داخل البيت بتدبير شؤون الأولاد والتنظيف والمساعدة أحيانا في توفير العيش للأبناء⁸ أما الجانب الثقافي: لقد اهتم الأندلسيون بالتعليم المرأة اشتهر الكثير منهم مثل حفصة بنت الحاج كانت من الأدبيات الشهيرات⁹ إضافة إلى تيممة بنت يوسف بن تاشفين¹⁰.

¹ السفرور عند مسلمين الأندلس لا يعني نزاعها للحجاب كاملا. أنظر، ابن الأبار، تحفة القادم، ص197، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 354.

² ابن القطان، المصدر السابق، ص97.

³ عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين " عصر الطوائف 510هـ/546هـ - 1116م/1151م، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م، ص165.

⁴ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص70.

⁵ ابن عائشة (462-500هـ)، المعروف بابن عائشة صاحب بلنسية حيث ولاه يوسف بن تاشفين من القادة الأخيار. ابن سعيد ، المصدر السابق، ج2، ص314.

⁶ ابن القابلة (539هـ)، أبو بكر بن محمد بن عثمان الشلطي يكنى بأبي الحسن يعرف بابن القابلة كان عالما عارفا بأحوال توفي بمراكش سنة565هـ. أنظر، المصدر نفسه، ص352.

⁷ ابن اللبانة (503هـ)، هو محمد بن عيسى بن محمد أبو بكر اللخمي الأندلسي المعروف بابن اللبانة له بعض التصانيف، كان من جلة الأدباء والشعراء واسع الذرع متصرفا في البلاغة له بعض التأليف منها "منازل الفتنة" و "نظم السلوك" ، في وعظ الملوك " وكتاب سقيط الدرر ولقيط الزهر" وسمع منه بعضها بحاضرة المرية سنة 486هـ وشعره مدون ... المصدر نفسه، ص409،

أنظر، العباس بن إبراهيم السملالي، المصدر السابق، ج4، ص ص39-40.

⁸ عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 317.

⁹ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص228.

¹⁰ تيممة بنت يوسف بن تاشفين ، أخت علي بن يوسف تكنى بأُم طلحة كانت كاملة الحسن راجحة العقل ماهرة بالأدب والكمال سكنت فاس.... أنظر، العباس بن إبراهيم السملالي، المصدر السابق، ج3، ص91.

كذلك مشاركتهن في:

ب- الجانب السياسي: لم تكن مشاركتهن في الجانب الثقافي والاجتماعي فحسب بل تعدى إلى وصول المرأة إلى مشاركة في الجانب السياسي والأمور التي تتعلق بالحكم فنجد عن سبيل المثال زينب النفزاوية كانت تعتبر المستشار السياسي للأمير¹ يذكر لنا القاضي عياض أن أحدهم قد امتحنته زينب النفزاوية قيد إليها مكبلاً² ووصل بها الأمر إلى التولية والعزل فيروى أن أحد الأدباء الأدباء والشعراء ابن زرهون ويعرف بابن خلون مدح حواء زوجة أبي بكر اللمتوني على سائر النساء فأمرت بعزله عن القضاء وكان قاضياً في إحدى المدن المغربية³ وكانت قمر زوجة علي بن يوسف بن تاشفين تتدخل في اختيار ولي العهد⁴.

وقد تغنى الشعراء بالمرأة لما كانت تفيض عليهم من العطايا⁵، فمثلاً ابن خفاجة كتب للأميرة مريم مريم بنت أبي بكر بن تفلويت قصيدة طويلة فأغدقت عليه بالأموال والعطايا⁶.

¹ المرجع نفسه، ص 331.

² مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 75.

³ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص 333.

⁴ المرجع نفسه، ص 333.

⁵ مريامة لعناني، المصدر السابق، ص 75.

⁶ المرجع نفسه، ص 75.

المبحث الثاني: العادات والتقاليد.

المطلب الأول: الاحتفالات والمواسم

تنوعت العادات والتقاليد في الحقبة المرابطية من بينها الاحتفالات بالأعياد الدينية التي تعتبر رمزا للمسلمين: مثلا التصدق في الجمعة وخاصة أن المتسولين يقصدون المساجد بغرض استعطاف رحمة المصلين¹.

1-الاحتفالات الدينية.

أ- الاحتفال بشهر رمضان: مناسبة تأتي كل سنة عند رؤية الهلال تتعالى التكبيرات² فرحا بقدومه وفي القرى توقد النار لإعلام القرى المجاورة ببدء شهر الصيام³، فيبدأ الصيام بالإمساك عن المنكرات ونستشف من إحدى الروايات أن أول ليلة من رمضان كانت تميزها بعض العادات حيث يشتري العديد المأكولات للسحور وتوقد القناديل في تلك الليلة ويذكر أن امرأة أمرت ابنها أن يبيع غزل الصوف من أجل شراء الخبز والزيت لأن هاته الليلة مباركة⁴.

فيقضي أفراد الأسرة يومهم صائمين وبعد موعد الإفطار وكان منهم من يحضر أطعمة خاصة كما نجد أن الأغنياء منهم من يشتري ملابس جديدة لهم ولأولادهم بغية الصلاة بها وكانوا يتصدقون على الفقراء والمساكين⁵ ويتوجهون إلى المساجد حيث تكون صلاة وقراءة القرآن⁶ بهذه الطريقة يتخذ المرابطون أول ليلة من ليالي رمضان وكانوا يقرأون القرآن ويختمونه في ليلة السابع والعشرين فحتى تاشفين بن علي رغم محاصرته من طرف الموحدين في وهران قصد ربوة عالية تجمع فيها المتعبدون وصعد مع نفر من أصحابه قصد التبرك وختم القرآن⁷، حيث كانوا يحتفلون

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 87.

² ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 351.

³ عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 308.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 87.

⁵ المرجع نفسه، ص 87.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 88.

⁷ المرجع نفسه، ص 88.

بهاته الليلة فيشترون الفاكهة والحلوى للضيوف¹، وعند انقضاء الشهر الفضيل كان منهم من يحزن لفراقه ومنهم من يفرح لرجوع انغماسه في ملذاته².

ب- الإحتفال بالعيدين:

عيد الفطر: من الأعياد التي سنّها الإسلام وجعلها فرحة للمسلمين عيد الفطر الذي لا شك فيه أنه يحتفل به في مستهل شوال ولقول رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام "للصائم فرحتان إذا فطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه"³، ومن عادات الأسر الأندلسية القيام بتنظيف زينة المحيط وتجديدها ويتحلى الأفراد بأحسن زينة والتصدق على الفقراء ليشاركوا بفرحة العيد ودفع زكاة الفطر⁴، فتوقد الأنوار في جميع المدن وتتعالى الأصوات المصلين بالتكبير والتلهيل⁵، في صباح يوم العيد يتوجه أفراد الأسرة رجالاً ونساء وأطفالاً إلى صلاة العيد في المسجد ومباشرة بعد الصلاة تتبادل الزيارات لتقديم التهاني بين الأصدقاء والأقارب⁶ ويشير ابن عبدون⁷ أنهم كانوا يزورون حتى القبور⁸ إلا أن هذا هو تناقض للفرحة والحزن.

عيد الأضحى: يتم الإحتفال بها في العصر المرابطي نفس الشيء مثل عيد الفطر مع تحضيرات العيد إلا أنه يختلف عنه في اختيار الأضحية التي تنافسوا على اختيار الأجود منها حيث تزدحم الأسواق قبل العيد بأربعة أيام⁹، وهو ما نتج عنه التنافس والمغالاة في الحصول على أحسن الأضاحي¹⁰.

¹ عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص 226.

² ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 352.

³ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 143.

⁴ المرجع نفسه، ص 143.

⁵ المرجع نفسه، ص 143.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 89.

⁷ ابن عبدون، المرجع السابق، ص 25-45.

⁸ يقول ابن قزمان: كل وجه مزين ليلة العيد دبرا * * والبكاء بالمقابر على الأحباب دمر. أنظر، مريامة لعناني، المرجع السابق، السابق، ص 145.

⁹ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 89.

¹⁰ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 146.

وذلك ما أرهق كاهل البعض منهم إلا أن العامة يرون أن مسألة إسالة الدم هي إزالة للهم بالإضافة إلى تحضير مستلزمات الأواني من قدور وصفائح بالإضافة إلى مصاريف الحمال والجزار ومتاعب تشويط رؤوس الغنم التي كانت تتم في حفر تحفر في بعض الحارات¹، وبالنسبة إلى مراسيم العيد في صباح العيد تكون الأسرة كلها مشغولة بتهيئة الأضحية وذبحها وإرسال الرأس إلى التشويط وتنشغل الأسرة كلها في طهي السقط أو ما يعرف بالقلايا²، نلاحظ أن العيدين من أكبر شعائر المسلمين ويعظمونها كل سنة.

عيد عاشوراء: من أعياد المسلمين المحتفل بها في المغرب العيد هو اليوم العاشر من شهر محرم ويصومونه اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام وكان بالنسبة لهم يوم فاكهة وحلوى³.

ليلة النصف من شعبان: ليلة النصف من شعبان أو مثلما يسميها الأندلسيون الشعبانية فكما جرت العادة أن يشتري الآباء لأبنائهم الألعاب كالنفير ويكثر فيها الصخب وتتعالى الأصوات⁴، أما الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لم يأخذ صبغة رسمية في المغرب والأندلس.

غير أن الحج أيضا من المناسبات التي تقام فيها احتفالات لتكريم الحاج والاحتفال بقدومه وقد بلغت نفقات كبيرة فعند رجوع يحي بن إبراهيم استقبلته جدالة معه عبد الله بن ياسين بحفاوة⁵.

ب-الاحتفال بالأعياد المسيحية: احتفل المرابطون بالأعياد الإسلامية وكذلك بالأعياد المسيحية:

عيد النيروز: هو عيد فارسي الأصل يرمز إلى يوم استقلال السنة الشمسية عند الفرس ويسمى بعيد النير عند مسيحيي الأندلس ورغم إنكار الفقهاء الاحتفال به لأنه من أعياد أهل الذمة إلا أنهم احتفلوا به⁶، وكانوا يضعون التماثيل والعرائس كانت توضع في البيوت والحوانيت⁷.

¹ المرجع نفسه، ص 146.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 181.

³ المرجع نفسه، ص 147.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 91.

⁵ المرجع نفسه، ص 91.

⁶ ابن أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ج1، ص 351.

⁷ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص 351.

عيد العنصرة: أو عيد المهرجان كانوا يعتقدون أن هذا العيد يتعلق بذكرياء عليه السلام اشتهر هذا العيد بشعلة النار التي كانوا يقسمونها ويقفزون عنها¹، ومن عاداتهم لباس الثياب الجديدة ولعب ألعاب الفروسية ومن الاحتفالات النصرانية أيضا هي الاحتفال بنهاية السنة الميلادية²، وهو ما أستشفه مشاركة المسلمين لاحتفالات المسيحيين دليل على روح التسامح.

ت-الاحتفالات العسكرية: شهدت المدن المغربية منذ قيام دولة المرابطين كثيرا من الاحتفالات العسكرية والتي كان يخرج فيها الناس لمشاهدة عرض عسكري لحملة أو الخروج إلى المعركة حيث يقوم الجنود بالقيام باستعراض³ فيوسف استعرض جنوده على حصن الرقة فرأى منه ما يسره⁴ وقد استعرض تاشفين بن علي جنوده في تلمسان (538هـ - 1144م)، وذكر كذلك أن يوسف بن تاشفين استعرض جيشه إبان جوازه للأندلس سنة (470هـ - 1078م) قبيل بعد قبيل وهو في أحسن هيئة وتنظيم حربي⁵.

وتتم تلك الاستعراضات برفع الرايات والأعلام مختلفة الألوان مع قرع الطبول⁶، وما يلحق هاته الاحتفالات العسكرية والمراسيم التي تقام بها باحتفالات النصر بمعركة من المعارك حيث تعم الفرحة ويتصدقون على الفقراء فرحا بالنصر كما حدث في معركة الزلاقة⁷.

ج-الاحتفالات الأسرية:

هي احتفالات الخطبة والزواج في العادة كان مجالا للمباهاة والظهور حيث يستدعى العازفون على آلات الطرب المختلفة حيث يستدعى الراقصات اللواتي يرقصن حاسرات الرأس كاشفات الشعر⁸.

¹ ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص294.

² إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في العصر المرابطي، ص93.

³ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص425.

⁴ المراكشي، المعجب ..، ص94.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطي، ص94.

⁶ ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص128، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص187.

⁷ الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص49.

⁸ ابن عبدون، المرجع السابق، ص51.

والاحتفال بختان الأطفال: الذي لا يعتبر الرجل مكتمل الرجولة إلا إذا رد عليه لثامه لذلك يحتفلون ببلوغه سن الرشد¹.

المطلب الثاني: وسائل وأماكن الترفيه.

من بين الوسائل الترفيهية التي كان يستمتع بها المغاربة والأندلسيون في أوقات فراغهم سماع الموسيقى والطرب والإقبال على الملاهي ومجالس الخمر²، كانوا يتوجهون إلى المنتزهات يذكر المقرئ من بين المنتزهات الأندلسية منتزهات إشبيلية وطليلة وقرطبة³، فيقول عن طليطلة "بها بساتين محدقة وأنهار محدقة ورياض وجنات"، أما إشبيلية فكان فيها المنتزهات كثيرا⁴ ناهيك عن شاطبة والبطحاء والغدير وغيرها فهذه المنتزهات معروفة بجمالها فكانت مدن المغربية والأندلسية تزخر بغاباتها الجميلة والوديان والأنهار ومن وسائل الترفيه كذلك نجد أن الأندلسيين اعتادوا الخروج للحمامات والعيون طالبا للاستشفاء لكن أيضا للنزهة والترويح على النفس هذه أيضا تعتبر وسيلة اهتم بها السكان خاصة في فصل الصيف فحين يفضل البعض الآخر اللجوء إلى الغابات وكانوا يركبون القوارب للصيد⁵ بالإضافة إلى الاحتفالات الموسمية للفلاحين وهي مرتبطة بالنشاط الزراعي إذ يخرج أهل القرية إلى الحقول والأودية المجاورة ويقضون عدة أيام وليال يستغلونها في جني العنب⁶.

الفلاحي⁷ ومن الوسائل أيضا انتشار لعبة الشطرنج والفروسية واشتهرت الأندلس كذلك بألعاب الفروسية التي كانت تقام في ساحات عمومية وخاصة في غرناطة في ساحاتها المشهورة كساحة باب الرملة أو ساحة الطوايين أو القلعة الحمراء وداخل هذه إحدى المساحات تقام دائرة خشبية في الهواء تدعى الطبلية يقذف الفرسان فيها رماحهم⁸.

¹ أحمد حسن محمود، المرجع السابق، ص 50.

² إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 89-90.

³ المقرئ، المصدر السابق، ج 1، ص 161.

⁴ المصدر نفسه، ص 182.

⁵ المصدر نفسه، ص 208.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 88.

⁷ المرجع نفسه، ص 90-92.

⁸ المرجع نفسه، ص 92-94.

طرق التسلية: طرق التسلية لديهم كانت الإقبال على الرقص وسماع الموسيقى والطرب رغم ما فرض عليهم يوسف بن تاشفين من تعاليم إلا أن ذلك لم يمنعهم من تأثرهم بالحضارة الأندلسية بمختلف مظاهرها وظهر ذلك جليا في عهد علي بن يوسف¹، إلا أن البوادر الأولى ظهرت جليا في عهد يوسف بن تاشفين² وأن يوسف بن تاشفين أهدى جارية حسنة الصوت للمعتمد وسمع منها الغناء والطرب³، وكانت حياة الطرب مألوفة في الأندلس وسار الأمراء على نفس هذه الوتيرة.

المطلب الثالث: المنازل

عرفت دولة المرابطين منذ التأسيس أي منذ الاستقرار السياسي بنوع من الاستقرار لذلك كانت مهمة آنذاك في التوسعات والبناء منازلهم والقصور والذي سابر ذلك النمو الاقتصادي وهذا ما أدى إلى ظهور كثرة المنازل يضاف إلى تشجيع ولاية الأمر على البناء⁴.

فكان البناء يختلف حسب الإمكانيات على سبيل المثال مدينة مراكش والذي يشهد لها التاريخ بأن بناء منازلها من الطين والطوب المصنوع من التراب أما غيرها من المدن مثلا مدينة فاس تبنى من الحجر وأسقفها من الخشب، وتكون هاته المنازل بها طابقان أو أرضية وبها في الصحن ومجموعة من الغرف وإذا كانت دارا كبيرة لا بد أن تكون لها أروقة تدفع عنها حر الشمس ومطر الشتاء⁵.

¹ حمدي عبد المنعم حسين، المرجع السابق، ص340.

² حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص442.

³ المرجع نفسه، ص442.

⁴ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص362.

⁵ المرجع نفسه، ص362.

المبحث الثالث: الألبسة والأطعمة

تنوعت الأطعمة والألبسة في المغرب والأندلس في عصر المرابطين وذلك باختلاف بين الطبقات الاجتماعية والتمايز الذي كان في غاية البساطة في المغرب ثم شهد نوعاً من التغيير في الأندلس.

المطلب الأول: الأطعمة

أ- الأطعمة في المغرب: اختلفت الأطعمة حسب الطبقة الخاصة للأمراء والطبقة العامة، فقد تفنن سكان المغرب الأقصى في صنع كثير من الأطعمة مزينة موائدهم بمختلفة الأطعمة والأشربة والحلويات وإذا اتبعنا الطعام بالمغرب منذ قيام دولة المرابطين لوجدنا القبائل الصحراوية كلمتونة ومسوفة وغيرها.. كانت تمتهن الرعي فاتخذت غذاءها اللحوم والألبان¹، حيث كانت تميزهم روح البداوة والبساطة وحسبنا أن عبد الله بن ياسين سن لنفسه مبدأ لا يأكل من الأطعمة التي تفرض عليها الضرائب² فلم يقتت إلا من لحوم الصيد، فكان يوسف بن تاشفين يأكله الشعير ولحوم الإبل وألبانها³.

فتنوعت أطباقهم خاصة اللحوم فكان أهل سجلماسة يسمنون الكلاب لأكلها⁴، أما الخبز لم يكن يستهلك إلا من طرف الأغنياء، اشتهرت بعض المدن المغربية في العصر المرابطي بأطباق خاصة اشتهرت بها من بينها مكناسة اشتهرت بطبخ السمك الشولي واشتهر أهل فاس بصناعة طعام ترفاست وتخصصت لمتونة في طعام عرف باسم "أسلو" باللهجة البربرية ويصنع بالحنطة⁵، بالحنطة⁵، ولم تختصر أطباق هاته للخاصة فقط بل تعدت الأطعمة المشرقية تنسب إلى الدولة العباسية كالدجاجة العباسية⁶، ومن الأطعمة للخاصة والمسمى بالصنهاجي المملوكي وهو مكون من لحوم البقر والغنم والدواجن⁷.

¹ المرجع نفسه، ص 432.

² إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 69.

³ البكري، المصدر السابق، ص 164.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 70.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 70.

⁶ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 255.

⁷ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 434.

أما العامة فكانوا يأكلون الذرى¹ ولا يعرفون الخبز إلا ما أتاهاهم من التجار من بلاد الإسلام² واكتفوا بتجفيف اللحم وصب الشحم المذاب أو السمن عليه³، كما كان يتم تحضير الأطعمة المتمثلة في شواء بعض الحيوانات الكبيرة مثل الخراف والعجول التي توضع فيها الطيور المشوية⁴، فكان جدالة ولمطة يأكلون قديد لحم الجمال ويشربون لبن النوق⁵، وكان سكان السوس السوس ومراكش يأكلون الجراد المقلي⁶، وهناك أطعمة حسب الفصول ففي الشتاء يتناولون اللحوم السمينة تضاف إليها بعض المواد وأما الصيف الفروج بالقرع⁷، وكان لطهي هاته الأطباق كان لا بد لهم جلب طبّاخين متخصصين ذوي خبرة فتجد منهم السودانيات اشتهرن بالخبرة حيث كن يبعن ب 100 دينار وأكثر لإتقانهن فن طهي الأطباق وغيرها⁸، أما مشروباتهم فكانوا يشربون "أنزير" هو شراب حلو مذاقه كالخمر أما طريقة تحضيره يأخذون عصير العنب الحلو فيطبخونه بالنار ثم يرفع من النار ويخلط مع الماء ثم يشربونه⁹.

بالنسبة للحلويات: فكانت حلوياتهم كثيرة العسل والزيت المستعمل فيها¹⁰.

طريقة أكلهم: كان أفراد العائلة يجلسون على الأرض ويأكل الجميع باليد وإذا تعلق الأمر بالكسكس تناوله الجميع في صحن واحد بدون ملاعق¹¹.

¹ المصدر نفسه، ص 158، مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 210.

² أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 170.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 70.

⁴ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 255.

⁵ المرجع نفسه، ص 257.

⁶ المرجع نفسه، ص 434.

⁷ المرجع نفسه، ص 434.

⁸ أبي عبيد الله البكري، المغرب...، ص 158.

⁹ الإدريسي، صفة المغرب، ص 62. حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 347.

¹⁰ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 74.

¹¹ المرجع نفسه، ص ص 74-75.

ب- الأطعمة في الأندلس:

أهم الأطباق التي كانت تعمل من اللحوم وأطباق الحوت وبعدها أطباق الكسكس والثريدة¹، والثريدة¹، الذي يخلط مع السمن والقديد والبصل أحيانا بالفول والسمن ويعد من أطباق الملوك والوزراء أما عن أطباق اللحوم هي أطباق الشواء كالدجاج المحشي والفروج والأرناب والطيور²، كما بالغ أهل الأندلس بوضع التوابل وخاصة الزعفران واستعمالهم للكزبرة والفلفل والخل والكمون³، والكمون³، وهناك أطعمة خاصة بالنساء كالقدوش يتناولونه لزيادة الوزن ونوع من الفراه لكبار السن، السن، وعند الانتهاء من الطبخ كان لا بد من تزيين الأطباق بإضافة القرفة والنعنع⁴.

أما بالنسبة للحلويات: كالحلوى الشامية أو تعرف باسم الكعك المحشو بالسكر أو الكعك من السكر والإسفنجة ونوع خاص للطبقة الخاصة يعرف بالسنبوسك الملوكي⁵، ومن أشهر الحلويات بالأندلس ما يسمى المجبنة يتم إعدادها من جبن ودقيق وزيت ويشير المقرئ⁶ إلى مجبنة طليطلة بقوله المحروم من يدخل هذه المدينة ولم يذقها.

المشروبات: من المشروبات التي توضع في مجالس اللهو والطرب لبعض الأفراد والحكام هو الخمر⁷.

أما بالنسبة للفاكهة: اختلفت الفواكه على مائدة الأسر الأندلسية بناء على مجال فائدتها كالتين الذي يراه الأطباء مفيدا لتليين البطن والعنب الذي يخص البدن كان يفضلته العامة وأفضل الفواكه التفاح والخوخ يدعونه التفاح الفارسي⁸.

¹ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص125.

² المرجع نفسه، ص125.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص73.

⁴ المرجع نفسه، ص127.

⁵ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص128.

⁶ المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص184.

⁷ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص132.

⁸ المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص162.

المطلب الثاني: اللباس

اللباس هو من عادات أفراد المجتمع المرابطي حيث كان لهم لباس خاص يميزهم وتميز بالبساطة في الصحراء وشهد نوع من التغير خاصة بعد ضم الأندلس:

لم يكتف المرابطون بالأخذ من تجارب وفنون وثقافات من سبقوهم بل أخذوا عنهم طريقة الملبس فقد قلدوا العباسيين في اتخاذ السواد الأعظم في لباسهم الذي طال يشمل في اللثام¹، ويذكر ابن غازي² أنهم كانوا يرتدون والغفائر القرمزية والعمائم ذات الذؤابات وكانوا يحملون إلى ذلك السيوف السيوف المحلاة ولا زال الطوارق حتى الآن يستعملون اللون القرمزي والمهاميز التاشفينية، وبالرغم من تقليدهم لمن سبقهم في طريقة لبسهم إلا أنهم اختلفوا فيما بين الفئات المجتمع وطبقاته نجد عند الطبقة الخاصة أو الحاكمة يستعملون اللثام الأخضر بينما الطبقة الدنيا يتلثمون باللون الأبيض³.

أما عند عامة الناس كان لباسهم مختلفا تماما إذ يختلف عن اللباس التقليدي مثلا كانوا يرتدون الشواشي والألبسة والجبة والعمائم⁴، فكثر لباسهم من الصوف والبرانس الكحل والمغاربة أقل اهتماما بمظهرهم من الأندلسيين⁵.

انتشر استخدام الملابس الصوفية بين السكان في عهد المرابطين وأكثر الناس يلبسون الأكسية والعمائم على رؤوسهم وهذا لوفرة الأغنام بتلك الفترة ومن صوفها تؤخذ الملابس فملابس لمتونة ولمطة كانت من الصوف وعلى رؤوسهم عمائم من الصوف المسماة بالكرزى⁶، فالأمير يوسف بن تاشفين ظل متمسكا بالملابس الصوفية بالرغم من اتساع سلطانه فبقي لباسه من الصوف ولم

¹ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ في عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين، دار الرشاد الحديثة، 1420هـ - 2000م، ج1، ص218.

² ابن غازي، الروض الهتون، ص6.

³ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص218.

⁴ المرجع نفسه، ص218.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص87.

⁶ حسن علي حسن، المرجع السابق، ص437.

يلبس قط غيره¹، يذكر باحثون آخرون أن المرابطين كانوا يرتدون جلابة بسيطة من الصوف الخشن على أجسامهم صيفا وشتاء² وهاته الملابس كانت بسيطة مقارنة بملابس الأندلس.

وكان يختلف اللباس حسب فئات المجتمع:

لباس العلماء: خاصة العلماء الذين كانوا في الأندلس أقبلوا على حياة الترف والبذخ فكان لباسهم من البرانس ذات اللون الأبيض خصص للفقهاء³ بالإضافة إلى لباس الغفائر بالأندلس الذي يختص بطبقة المثقفين والمتعلمين فكانت هاته الغفائر من الصوف وصبغوها باللون الأحمر والأخضر⁴.

وارتدى علماء الأندلس الطيلسان فيذكر المقري: أن الطيلسان زي يختلف فيه بين العلماء والفئات الأخرى في طريقة وضعه حيث يذكر لا تجد الخواص الأندلس وعوامهم يمشي دون طيلسان ألا أنه يضعه على رأسه منهم غير عظماء الشيوخ " فالطيلسان لا يضعه إلا كبار الفقهاء على رؤوسهم أما العوام فيضعونه في أكتافهم مطويا طيا طفيفا "⁵.

لباس الفقهاء: فقد اعتادوا على لبس الغفارات بقبو وعمامات تسمى بالعتنون وجعلوا فوق رؤوسهم قلنسوة أو كرزية وهي عبارة عن عمامة من نسيج مستطيل مصنوع من الصوف⁶، وبالأندلس كان لباس الحرير وخصصت للقضاة العمام الخضراء وصغروا حجم العمام لأن العامة كانوا يستهزئون منها⁷.

لباس المتصوفة: كان لباسهم ما ستر وطعامهم ما حضر وجاء حرصهم على التقشف مظهرها من مظاهر التقوى وحسن السيرة فإن هؤلاء الزهاد تطبعوا ببعض الألبسة وأكثرهم لبس جبة الصوف

¹ المرجع نفسه، ص438.

² مريامة لعناني، المرجع السابق، ص97.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص81.

⁴ المرجع نفسه، ص81.

⁵ مريامة لعناني، المرجع السابق، ص98.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص81.

⁷ مريامة لعناني ، المرجع السابق، ص100.

كما كانوا يلبسون عباءة من الصوف وذلك لبساطتها وخشونتها والبعد عن الزينة وبلغت درجتهم العزوفية أن منهم من تصدق بلباسه وبقي عريان¹، وكانوا يرتدون الخرقة تعتبر أهم قطعة في لباس المتصوفة وهي تشير إلى ثوب غليظ الذي يلبسه الفقراء وهي نوعان خرقة العهد وخرقة التبرك فخرقة العهد حين يدخل الواحد منهم طريق التصوف أما خرقة التبرك فتعطى لكل من يطلبها²، ولباس القدمين هو النعل³.

لباس اليهود: أما فئة اليهود اختصت باللون الأصفر شاركوا المرباطين في ملابسهم وذلك بقول ابن عذارى "شاركوا الناس في الظاهر فلا يتميزون من عباد الله المؤمنين"⁴، وكانوا يرتدون الشكلة الشكلة قصصهم ذراع في عرض ذراع وهم برانيس زرق وقلانس زرق⁵، ويصفها المراكشي⁶ أنها من أبشع البراديع تبلغ حتى آذانهم كما قال ابن عبدون لا بد أن تكون لليهود علامة تميزهم على سبيل الخزي⁷ لهم إلا أنهم لم يلتزموا بذلك حيث يذكر الونشريسي أن اليهودي الحكيم بن قنبال كان يعتم ويعقد في حانوته من غير غيار ولا زنار⁸، بالإضافة إلى وضع قطع الدنانير أو من القصدير تميزهم عند دخول الحمام⁹.

لباس النساء:

طبقة الخاصة: محتشمة ولا سيما في حواضر مراكش وفاس فقد كانوا يتعجبون بمعاجر الصوف أما في البوادي اعتادت المرأة على أن تسفر على وجهها أمام غير المحارم¹⁰، وممكن سفور النساء كان يختص بطبقة الخاصة وذلك طبقا لما قاله ابن خلدون: ولقي ابن تومرت ذات يوم صورت أخت علي بن يوسف حاسرة قناعها على غير عادة قومها الملتمين في زي نسائهم فوبخها

¹ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص238.

² المرجع نفسه، ص238، المرجع نفسه، ص238.

³ المراكشي، المصدر السابق، ص136.

⁴ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص228.

⁵ المرجع نفسه، ص228.

⁶ المراكشي، المصدر السابق، ص304.

⁷ ابن عبدون، المرجع السابق، ص51.

⁸ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص246.

⁹ المرجع نفسه، ص160.

¹⁰ المرجع نفسه، ص160.

ودخلت على أخيها باكية¹، وحظيت المرأة بمكانة عالية في البادية أو الحواضر فوصلت بها أن شاركت الرجل في مجلس القبيلة وهذا التحرر الذي بلغه منحها نوعا من الحرية فيما تقتنيه من اللباس ونوعيته²، وجد نساء الطبقة الخاصة ضالتهم فيما تنتجه بلاد المغرب من الثياب الفاخرة ومن بينها سجلماسة التي كانت تنتج من الأثواب ما يبلغ سعر الثوب الواحد منه 20 مثقالا³.

ويشير الإدريسي إلى صناعة الثياب الرفيعة ببلاد السوس⁴ وقيل أن بعض النساء كانت تجعل شعرها مثل سنم الجمل⁵، وكان النساء في العائلات الوجيعة البرانس عندما يمتطين البغال⁶.

لباس عند العامة: كان بعض النساء يغطين رؤوسهن بخمار من ثوب الحرير أو الكتان الذي يختلف من حيث الجودة والشفافية يلبس هذا الخمار على أعلى الرأس ويسدل على الوجه كما يمكن ستر الوجه بالمهاجر أو البرقع ويسترن أقدامهن بلبس الجوارب والأخفاف والصنادل⁷، وكان يلبسون في فصل الصيف قميصا لا يخلو من قبح أما في فصل الشتاء فيرتدين ثيابا عريضة الأكمام مع سراويل طويلة⁸.

لباس النساء في الأندلس:

كان النساء أكثر رفعة وجمالا منها السراويل المتموجة الساق والأحذية من الجلد الناعم والمطرزة بالحرير الملون بالإضافة إلى تزيين أرجلهن بالأساور وكان لهم حسن اختيار الذوق الرفيع باللون الأزرق يلبس مع لباسه لونه أخضر⁹، أما الحلي فتعددت أنواعه اشتمل على القلائد والقلائد والخلاخل من الذهب الخالص والفضة والأحجار الكريمة والياقوت ونفيس الجواهر¹⁰، يقول

¹ ابن خلدون، العبر، ج6، ص268.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص252.

³ أبي عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص147.

⁴ الإدريسي، صفة المغرب، ص62.

⁵ سنم الجمل، وهي الغطاء عبارة عن قطعة من النسيج الرقيق يبلغ طوله نحو الذراع تعصب فيه المرأة ويرتفع على شكل سنم

الجمل بنحو ربع ذراع. أنظر، عصمت دندنش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص220.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص66.

⁷ المرجع نفسه، ص85، عصمت دندش، الأندلس في مستهل المرابطين ونهاية الموحدين، ص322.

⁸ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص86.

⁹ عصمت دندش، الأندلس في مستهل المرابطون ونهاية الموحدين، ص321.

¹⁰ المرجع نفسه، ص322، مريامة لعناني، المصدر السابق، ص163.

ابن الخطيب عن نساء غرناطة "قد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات والنفيس بالذهبيات¹.

وعلى عكس الخاصة والأعيان كان يتفنن في اختيار ملابسهن من الحرير نجد أن النساء العامة كن يرتدين الصوف وعلى الغالب كن يصنعنه بأنفسهن².

أما الطفل فقد كان له هو الآخر ملابس خاصة به نذكر منها لفائف الطفل الرضيع وحزام وقميص وجوهرات بالإضافة إلى الخرقه توضع على عنقه أما في بعض المناسبات في يوم الجمعة فوصف ابن الخطيب تجدهم في المساجد أيام الجمعة كأنهم الأزهار³.

¹ ابن الخطيب، الإحاطة...، ج1، ص40.

² عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص254.

³ المرجع نفسه، ص256.

المبحث الرابع: القيم الاجتماعية والآفات السائدة.

المطلب الأول: القيم الاجتماعية.

نقصد بالقيم بعض الأشكال والسلوك والقواعد الأخلاقية التي توجه سائر الناس وتصرفاتهم واختياراتهم ومن بين أهم القيم السائدة في البادية هي كرم الضيافة والفروسية والبساطة والفطرة والخشونة والصبر والحياء والتمسك بروح الحياة الجماعية¹، فيرى ابن خلدون "أن أهل البدو أقرب إلى الخير"²، أما القيم السائدة في الحواضر المتمثلة في الجانب المادي والروحي والجري وراء الكسب وانتهاز الروح الفردية ومن بين أهم القيم السائدة في بوادي المغرب والأندلس كرم الضيافة حيث كانوا يكرمون الضيف ثلاثة أيام³ فوجد من يرهن بعض من أثاث منزله وبيعها لإكرام الضيف وعلى هذا الأساس يرى الحضرمي فقيه المرابطية اعتبر أن الجود سائر للعيوب غارس للمحبة في القلوب"⁴، إلى جانب ذلك الخوف من العار حيث عرف يوسف بن تاشفين بحيائه⁵، هو ما جعلهم يفسر ارتداءهم للثام وبرزت بينهم روح التسامح وعلو الهمة⁶.

أما بالنسبة للنظافة: كانت في المجتمع المرابطي ذلك ما يؤكد ابن عبدون من نظافة الأبدان والطرقات والمباني وإصلاح الأماكن التي تتجمع بها المياه⁷، ويشير الإدريسي "أن شعورهم كانت كانت كثيفة إلا أنها كانوا حريصين على نظافتها..."⁸ وكانوا أشد اعتناء بما يلبسون وما يفرشون⁹.

الحث على العمل: كانوا يسعون للعمل ويقول المقري: أنه إذا رأوا متسولا وهو قادر على العمل أهانوه وسبوه¹⁰ ومن عادة المتسولين أنهم يتجمعون في ساحة علي بن يوسف بمراكش والطرقات

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 120.

² ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 132.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 120.

⁴ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 193.

⁵ ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 266.

⁶ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص 281.

⁷ ابن عبدون، المرجع السابق، ص 37.

⁸ الإدريسي، صفة المغرب، ص 62.

⁹ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 194.

¹⁰ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص 220.

ومن الأغنيات الشعبية والزجل لكسب العطف ورحمة المارين وكانوا يستغلون الأعياد والمواسم وذلك ما قاله ابن خلدون شأهت بفاس السال يسألون أيام الأضاحي أثمان ضحاياهم¹.

المطلب الثاني: الآفات الاجتماعية.

من بينها التسول الذي كان ظاهرة منتشرة في عصر المرابطين وبعد المتسولون شريحة من شرائح المهمشين وذلك نتيجة للبذخ والترف خاصة في عهد الدولة وذلك ما يؤكد ابن عبدون وما أثار انتباهه يوم الجمعة بدخول المسجد المتسولين لإدراك عطف المصلين لذلك منعهم من دخوله، وطلب منهم أن لا يترك ساع في رحاب الجامع²، أما في الأندلس أكد على أن عددهم ظل ضئيلا بحجة أنه ما إذا رأوا أحدا يتسول أهانوه³، وسعى رجال الحسبة إلى معاقبة كل من يسعى إلى ذلك وذلك لاستقباح الأندلسيين للتسول وإنزال أنواع الإهانات والشتائم على القادرين على العمل، إلا أن المتصوفة وجد فيهم خير معين حيث أن الزاهد أبا عبد الله التاودي تصدق بثيابه وبقي دون ملابس⁴.

أ- السرقة: شكل الدعة وما عرف بقطع الطرق شريحة أساسية من شرائح وذلك بسبب الرفاه والبذخ الذي كان سائدا⁵ وكان بديها أن تتجه أنظار اللصوص نحو كبار الملاك من أصحاب الأجنة والأثرياء وأرباب المواشي⁶.

أما الأندلس فلم تكن أحسن حالا فيقول ابن الخطيب⁷ أشار إلى كثرة التعدي في الطرق والدوائر في السبل والفتك برقاق، وكانوا يتخذون أماكن خالية كمائن لضحاياهم بعد تدريبهم على طرق الاختلاس وكان معظمهم يربون الشعور الطويلة⁸، ويشير ابن عبدون أيضا أن هؤلاء الحراس لا يكتفون بالقيام بدورة واحدة في المدينة بل كان عليهم القيام بدورات متعددة لأن السراق والذعة

¹ ابن خلدون، مقدمة، ج1، ص385.

² ابن عبدون، المرجع السابق، ص24.

³ المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص205.

⁴ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص191.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص191.

⁶ المرجع نفسه، ص191.

⁷ عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص201.

⁸ ابن عبدون، المرجع السابق، ص55.

بالليل يترقبون مشي الحرس وينطلقون بعد ذلك لطلب الشر والفجور كما طالب بقطع عمل الخناجر لأن اللصوص يتخذونها سلاحاً¹، رغم الجهود المبذولة من طرف السلطة المرابطية وأفراد المجتمع إلا أن ذلك لم يضع حداً لهاته الظاهرة وعليه فقد اضطر الناس إلى تحصين أنفسهم وإصلاح الدروب والأسوار تحسب لحركاتهم اللصوص والدعة وأنه لا تكاد الأندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان ذبحه اللصوص على فراشه²، وهذا ما يؤكد أن أهل قرطبة كانوا في بلاء عظيم يتحارسون الليل كله ويكابدون من روعات طراقه ما لا يكابد أهل الثغور من العدو³، وفي آخر العصر المرابطي أصبح اللصوص يلجأون إلى النساء المرابطيات للاحتماء بنفوذهن لذلك لم يكن غريباً أن يستعملوا من طرف السلطة المرابطية مثل ما استعمل علي بن يوسف استخدام رجل يعرف بالفلكي الأندلسي كان فاتكا شهماً قاطع السبيل وعفا عنه وسد به ثغور مراكش⁴، ويشير صاحب المعجب أن كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع السبيل⁵.

ب- أما بالنسبة للدعارة: فإن العاهرات التي كن يمارسن البغاء تكسبا للعيش ويقمن في بعض الفنادق المعروفة بدون خراج⁶ لذلك سموا بخريجات⁷، ومن الدروب التي تقع فيها الفنادق مثل درب ابن زيدون فكانوا يخرجون بزینتهم إلى الشوارع وذلك ما جعله يدعو إلى منعهم من الكشف على رؤوسهن خارج الفنادق ولا شك أنهم أكثر من كذلك فلذلك تداولتهن السنة العامة⁸.

ج- السحر والشعوذة: ويأتي المشعوذون والسحرة الذين عرفوا كيف يتحايلون في استخراج الأموال من جيوب أصحابها حتى أن الشعوذة شكلت حرفة لها نظمها وتقاليدها منهم من كان يظهر في زي يموه على العامة بحيله ومهاراته⁹، ومنهم تظاهر بالسحر والكهنة ومعرفة الغيب حتى يصل

¹ المرجع نفسه، ص18.

² المقرئ، الصدر السابق، ج1، ص219.

³ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص192.

⁴ المرجع نفسه، ص192.

⁵ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص132، عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص204.

⁶ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص193.

⁷ ابن عبدون، المرجع السابق، ص50.

⁸ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، ص193.

⁹ السقطي، المرجع السابق، ص45.

إلى جيوب المغفلين وبعض النساء اللواتي يردن كسب محبة أزواجهن وليس الغريب أن تنتشر وسط هاته البيئة الثقافية غيبة مثل المجتمع المرابطي المزاعم الشعبية كالاعتقاد في أرواح الجن في إحدى النوازل المعاصرة أنه رجل عنده كتب مصروع فلا عجب أن تردد في أمثال العامة مثل هذه الخرافات¹ أما الأندلس فزعموا أن شجرة تنمو أوراقها وثمارها كل يوم ينمو وأنه ما إذا رغبوا في المطر أقاموها جهنم².

المطلب الثالث: الأمراض وطرق علاجها

أ- الأمراض:

تنوعت الأمراض المنتشرة خلال الحقبة المرابطية سواء في المغرب أو الأندلس ويذكر البكري أنه لا يكاد أحد يخلو من مرض الحميات والطحال³، ويشير الإدريسي⁴ إلى مرض العيون بين أهالي سجلماسة وقل من سلمت عيناه.

وداء الحية الذي يتسبب في تساقط الشعر وكذا داء السعفة وهو عبارة عن قروح تخرج فضلا عن مرض الجذام الذي عرف انتشارا في بعض المدن الأندلسية والمغربية وخصصت لهم حارة في ضاحية مدينة فاس ونجمت أمراض أخرى بسبب خلل في النظام الغذائي أو بسبب الإكثار من الفواكه الجافة، إن الأعراض الناجمة عن النظام الغذائي تصيب أهل الحضر أكثر من أهل البوادي⁵، وناهيك عن أمراض أصابت العامة كالطاعون وداء الجرب والبرص⁶.

ب- طرق معالجتها: كانت هناك عدة طرق من بينها الطريقة البدائية التي اعتاد عليها أهل البادية فحسب بل في الحواضر كان المرضى يلتجئون إلى الأولياء والصلحاء طمعا في الشفاء، وهناك من التجأ إلى العلاج الطبيعي وهو من الأساليب التي التجأ إليها في المجتمع المغربي والأندلس رغم ما وجد من الأطباء المهرة آنذاك إلا أنهم اتجهوا إلى الطب الشعبي ففضلوا الاستشفاء

¹ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص112.

² المرجع نفسه، ص112.

³ أبي عبيد الله البكري، المغرب، ص158.

⁴ الإدريسي، صفة المغرب، ص61.

⁵ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين، ص103.

⁶ المرجع نفسه ، ص102.

بالعقاقير ولم يقتصر استخدام هاته على الطبقة العامة بل تعدى للخاصة حيث يشير البكري إلى أن أحد ملوك غانة بعث أحد أمراء دواء عبارة عن نبات يعالج به العقم¹.

نلخص في الأخير أن عصر المرابطين في المغرب والأندلس ارتبط بجملة من العادات والتقاليد المتعلقة بمعطيات العصر المرابطي فتلك التقاليد بدءا من الزواج والمرأة وكانت التي حظيت بها داخل الأسرة والمجتمع وعن العادات والتقاليد المتعلقة بهذا المجتمع ترجع إلى الألبسة والطعام وكانت تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية التي كانوا يحتفلون بمختلف المناسبات فضلا عن الأعياد والمواسم التي يحتفلون بها ناهيك عن الترويح عن أنفسهم في أوقات فراغهم، والإشارة إلى القيم الأخلاقية التي كانت تتمحور في الكرم والنظافة ورغم ما كانت هاته القيم طغت عليها بعض الآفات الاجتماعية.

¹ أبي عبيد الله البكري، المغرب، ص172.

خاتمة

في ختام هذا البحث، نستنتج أن قبل قيام دولة المرابطين وقبل توحيد العدوتين المغرب والأندلس كانت الأوضاع الاجتماعية متدهورة ، نتيجة الانقسامات والصراعات السائدة.

فكانت الدولة المرابطية دولة مهيبة الأركان تمكنت من بسط نفوذها على بلاد المغرب وانطوت على الأندلس كما تمكنت من اقامة وحدة سياسية بين العدوتين، مما ساعد ذلك على تطور الأوضاع الاجتماعية بفضل الأمن والاستقرار الذي ساد خلال فترة حكمهم، ولعل تحقيق هذه الوحدة مبني على أسس صلبة في بناء صرح هذه الدولة المتكامل، حيث كانت انطلاقتها على أسس إصلاحية دينية معتمدين في ذلك على الكتاب والسنة وفق مذهب الإمام مالك أمرين بالمعروف ناهين على المنكر إضافة إلى الموقع الجغرافي الذي ساعد الدولة المرابطية على ظهور .

وكان لقيام دولة المرابطين أثر في التاريخ الاجتماعي الذي عكس صورة واضحة عن أحوال الشعوب ونمط معيشتهم فاستطاعت أن تبني كيانا اجتماعيا قويا رغم اختلاف التركيبة البشرية التي كانت سائدة اختلافا عرقيا ودينيا ولغويا، فتشكل هذا المجتمع من بربرالذي كان يمثل السواد الأعظم وعرب الذين كانوا في الأندلس بكثرة، والصقالبة الروم فاختلوا اختلافا عرقيا ودينيا و لغويا، فنتج عن ذلك مزيج في المجتمع واختلاف بين طبقاته.

بعد دارستنا لطبقات المجتمع المرابطي في كل من المغرب والأندلس توصلنا إلى وجود أربع طبقات رئيسية التي تمايزت بين المجتمع الصحراوي البدوي المالكي والمجتمع الأندلسي كما أن هناك عدم تناسق طبقي بين الطبقات، فنجد الطبقة الحاكمة ترأست سلم هذا الهرم الاجتماعي في جميع الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وما يميز هذه الطبقة من جانب المادي والسياسي، الذي يمثله السلطان وحاشيته من أمراء وفقهاء وقضاة..وذوي النسب والجاه من بيوتات الكبرى وكل هذه العناصر كانت تعيش وفق إملاءات السلطة مقابل مظاهر الترف و البذخ والقصور والخدم وجواري..

أما الطبقة الوسطى التي حاولت أن ترقى بمستواها وصلا إلى السلطة الحاكمة التي تتشكل من التجار والحرفيين وأصحاب المهن الحرة، التي حاولت أن ترتقي بمستواها للتقرب من الطبقة الحاكمة، ألا أنها لم تتمكن من وصول إلى المستوى التي تتمتع به خاصة مع الضرائب التي أثقلت كاهلها، فاكتفت بإرضاء السلطة لتحقيق أهدافها، أما الفئة الثالثة فهي تتكون من الباعة الصغار وفلاحون والأيتام العبيد والأسرى والمهمشين...الذين نعتوا بكل أوصاف التحقير والتذليل ولم يكن لهم أي دور.

وكان للمجتمع بعض المظاهر التي تميزه عن غيره بدءا من الأسرة وما تتضمنه من علاقات زوجية التي كانت تتراوح بين المودة والنفور وكان للأسرة عاداتها المتعلقة بالزواج والاحتفال به، إضافة إلى دور المرأة التي تمتعت بمكانة مرموقة في المجتمع المغربي وقد حرص ولاية الأمر على رعايتها، كما أن بعضهن يحضين من الثقافة الكثير، ومشاركتها في الأمور السياسية.

تعددت الاحتفالات التي يغلب عليها الطابع الديني وما يصاحبها من شعور ديني فياض خاصة بالاحتفال بشهر رمضان، إضافة إلى الاحتفالات العسكرية وما يتخللها من مواكب، وكما كانوا يلجئون إلى المنتزهات والحدائق لترويح على أنفسهم، وفي أوقات فراغهم بوسائل شتى منها سباق الخيل والغناء... وإذا القينا نظرة سريعة على أحوال المجتمع المربطي نجد بعض الصفات التي انتشرت في أواخر عهد علي خاصة بعض الصور غير مشرفة انتشار حوانيت من بين معروضاتها وسائل اللهو وقد وقف الولاة من الأمر موقف التشدد من الغناء واللهو ومحاربتها بشتى الطرق.

كما انعكس الرخاء في الوضع الاقتصادي على الجانب الاجتماعي وذلك ما نلاحظه في عهد علي بن يوسف خاصة الذي شهد عهده مظاهر الأبهة في المأكل والملبس خاصة، وقد تقنن المرابطون في إعداد موائدهم والرجال والنساء في لباسهم، فارتدت النساء الملابس الحريرية في بعض الأحيان أما رجال فتميزوا بلباسهم للثام الاسود، بينما الطبقة الدنيا

يتلثمون بلثام أبيض اللون، أما الناس العامة من غير مرابطين سواء كانوا في المغرب أو الأندلس فيرتدون لباسا مغيرا عليهم.

وحفلت المائدة المرابطية بالعديد من الأطعمة مما يدل على الثراء والرفاهية التي تمتع بها السكان آنذاك، وقد تنوعت هذه الأطعمة منها ما يخصص للأغنياء، ومنها للطبقة العامة منهم ، ومنها من يكون طعام مخصص حسب فصول السنة، طعام خاص بفصل الصيف وآخر بفصل الشتاء، إضافة إلى تنوع المشروبات منها شراب الرب والأنزير.

وننتج على هذا التعدد من العناصر في مجتمع المرابطي تنوع في الخصائص الذي امتد بين النقيضين من اللهو والمجون إلى الزهد والتصوف قد حاولت السلطة المجتمع المرابطي ابطال هاته المظاهر الفساد في المجتمع.

الملاحق

ملحق رقم (1): الحدود الجغرافية لدولة المرابطين¹

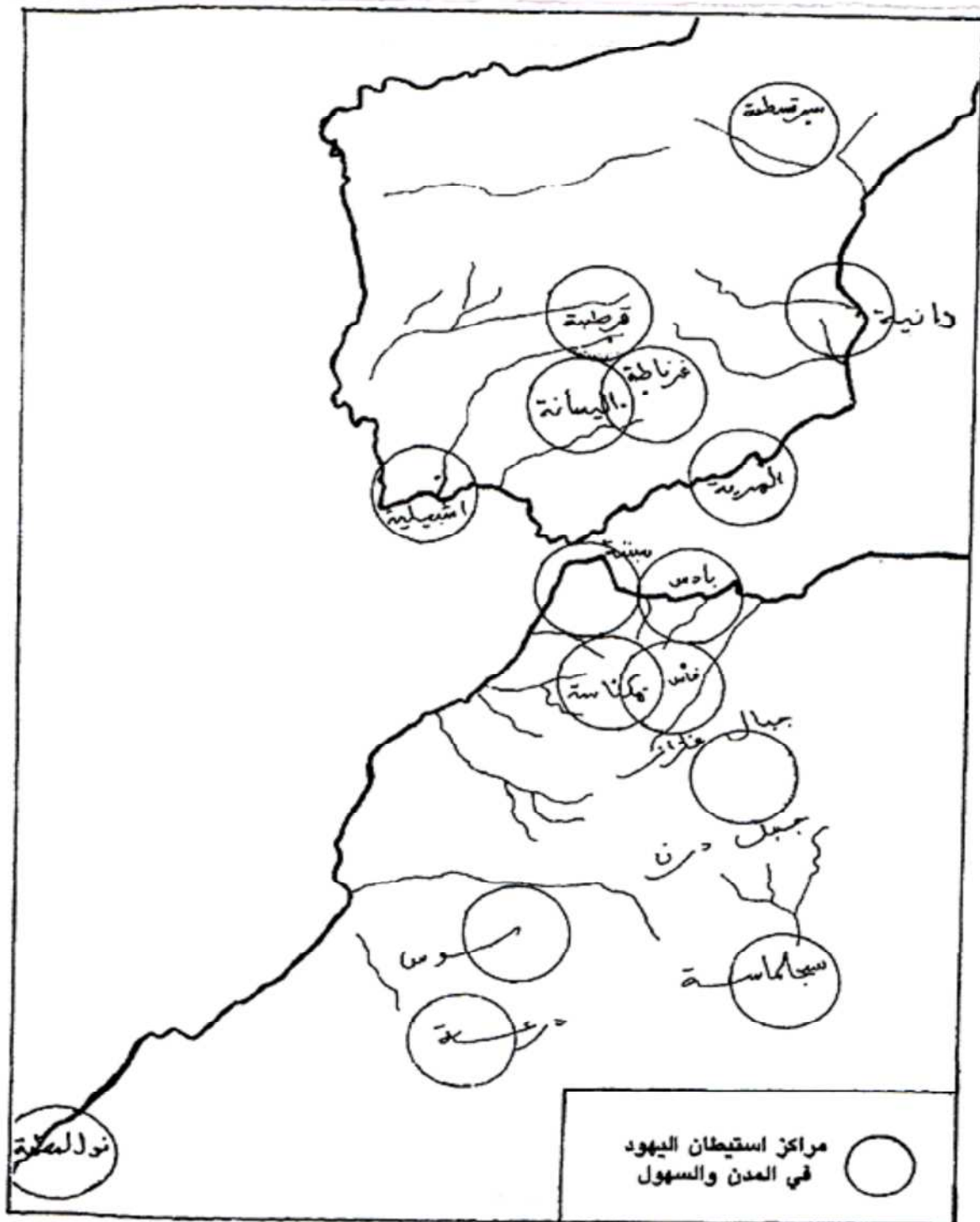


1- حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1-، الزهراء العالم العربي، القاهرة، 1987م، ص164

مواطن القبائل العربية بالأندلس
مستخرج من كتاب الأندلس لابن حزم
تاريخ حصول رقم دار

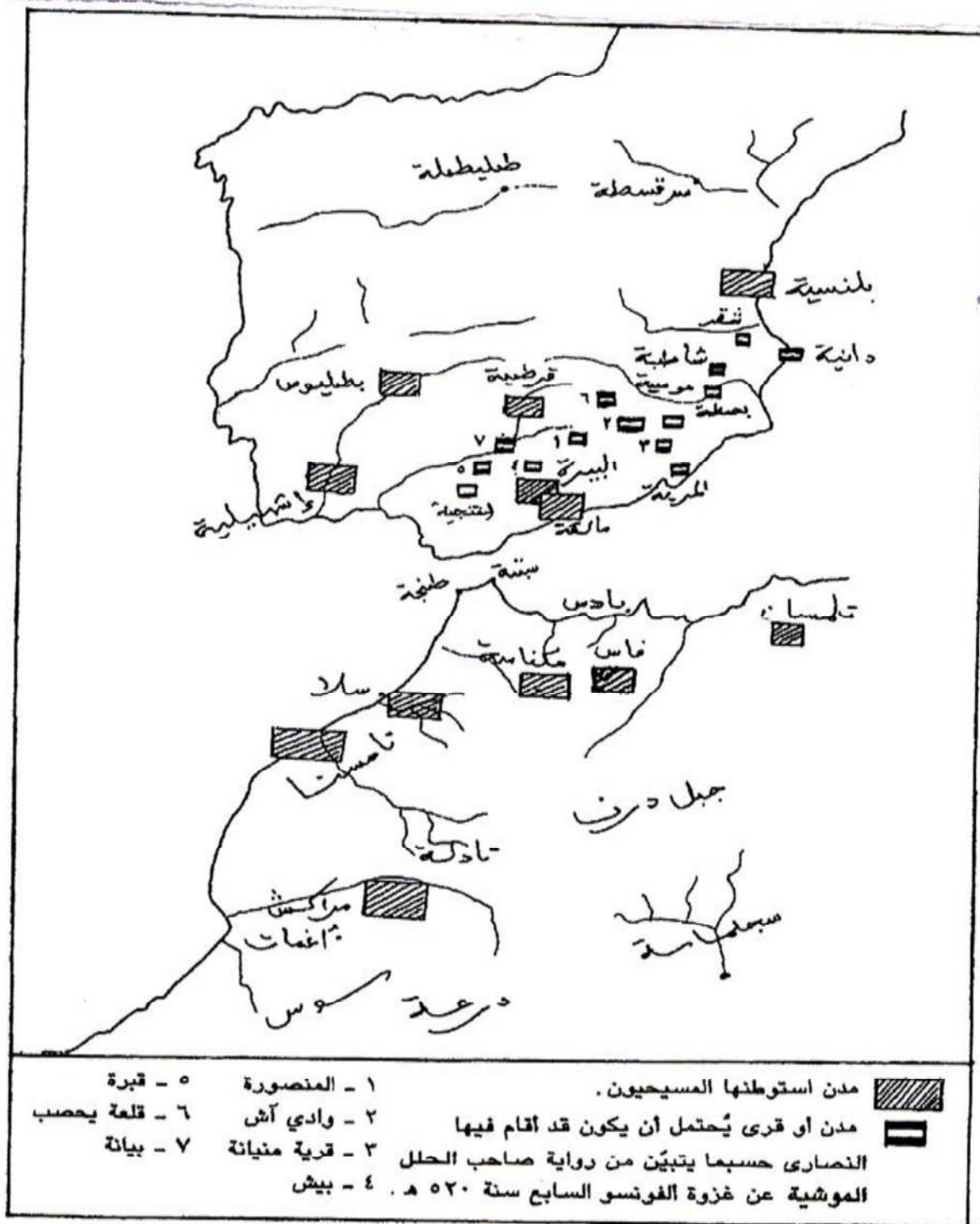
القبيلة	القبائل التابعة لها	رقم الصفحة
بنو قنبر	بنو قنبر	450
بنو قنبر	بنو قنبر	450
بنو قنبر	بنو قنبر	423, 434, 347, 302, 89
بنو قنبر	بنو قنبر	454, 457, 446
بنو قنبر	بنو قنبر	450, 430, 365, 127
بنو قنبر	بنو قنبر	421, 392, 365, 189
بنو قنبر	بنو قنبر	424, 423
بنو قنبر	بنو قنبر	218
بنو قنبر	بنو قنبر	443, 418, 333, 321, 89
بنو قنبر	بنو قنبر	327
بنو قنبر	بنو قنبر	430
بنو قنبر	بنو قنبر	406
بنو قنبر	بنو قنبر	455, 435, 327
بنو قنبر	بنو قنبر	189
بنو قنبر	بنو قنبر	292

الملحق رقم: (3) مراكز تجمع اليهود في المغرب والأندلس في عصر المرابطين



¹- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 256.

ملحق رقم (4): مراكز تجمع المسيحيين بالمغرب والأندلس



¹ - ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 255.

قائمة المصادر

والمراجع

1-المصادر:

- القرآن الكريم
- ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقة الأطباء ، دار الفكر بيروت، 1957م، ج2.
- ابن أبي دينار القيرواني أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، 1286م.
- ابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/1260م)، الحلة السيرة، تحقيق، حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1963م، ج2.
- _____، التكملة، تحقيق، عبد السلام الهراس، دارالفكر، بيروت، 1415هـ/1995م، ج1/ج3.
- _____، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، 1989م.
- _____، المقتضب من تحفة القادم، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب للبناني، بيروت، 1410هـ-1910م.
- ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق، محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987م، المجلد8.
- ابن الأحمر، بيتوتات فاس، تحقيق، عبد الوهاب منصور، دار منصور للطباعة، الرباط، 1973م.
- _____، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق، هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2011م.
- ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الإعلام فيمن ببيع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق، ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، لبنان، 1956م، ج3.
- _____، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، مجلد4.

- ابن الزيات التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحيى، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق، أحمد توفيق، ط2، مكتبة الإسكندرية، 1990م.
- ابن السماك المالقي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، لبنان، 2010م.
- ابن القاضي أحمد، جذوة الاقتباس، في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار منصور للطباعة والنشر، الرباط، 1973، مج1.
- ابن القطان أبي محمد حسن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي (ت628هـ)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق، محمد علي مكي، ط2، دار المغرب الإسلامي، 1990م.
- ابن الكردبوس التوزري، تاريخ الأندلس قطعة من كتاب الإكتفاء بأخبار الخلفاء، نشر وتحقيق، أحمد مختار العبادي، صحيفة الدراسات الإسلامية، مادريد، 1966م.
- ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ-1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى (578هـ/1182م)، الصلة، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، دارالكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ - 1989م.
- ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (456هـ/1046م)، جمهرة أنساب العرب، تعليق، محمد هارون، ط3، دار المعارف، مصر، (دس)
- ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992م.
- ابن خاقان أبي نصر الفتح بن محمد عبيد الله القيسي الإشبيلي (ت529هـ/1135م)، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه، حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، 1989م.
- _____، مطمح الأنفس ومطرح التانس في ملمح أهل الاندلس، تحقيق، محمد علي شويباكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، 1983م.
- ابن خلدون زكرياء يحيى بن ابي بكر محمد بن الحسن، بغية الرواد في كر ملوك بني عبد الواد، طبع بمطبعة ببيير بونطانا، الجزائر، 1903م، ج1.

- ابن خلدون عبد الرحمان (ت808)، المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحاة، مراجعة دكتور، سهيل زكار، 2001 م، ج1/ ج2.
- _____، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000 م، ج7/6.
- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.س)، ج7.
- ابن رشد أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، تحقيق مختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، 1987م.
- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه، شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، (د.س)، ج2.
- ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق، ليفي بروفينسال، مطبوعات العهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
- ابن غازي العثماني المكناسي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، 1952م.
- ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين (ت799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق، محمد الأحمد بن نور، دارا لتراث، القاهرة، (د.س)، ج2.
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين الأنصاري (711هـ/1311م)، لسان العرب، ط1، دار المعارف، القاهرة، (د.س)، مج3.
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتب المصرية، مصر، 1991 م.
- أبو الفداء عماد اسماعيل بن محمد (ت730هـ)، تقويم البلدان، اعتني بتصحيحه وطباعته، البارون رينود، والبارون ماك كويكن، دار الصادر، لبنان، 1850م.

- أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق، إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية الجزائرية، 1989م.
- أبي عبيد الله البكري، المسالك والممالك (ت487هـ)، تحقيق، أندري فان لوفين وأندري فيري، دار العربية للكتاب، قرطاج، 1992م، ج1.
- _____، المغرب في ذكر في بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دس).
- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت548هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ / 2002م، مجلد1.
- البيهقي أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي، راجعه عبد الوهاب بن المنصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 2004م.
- الجزنائي علي، جني زهرة الآس في أخبار مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط، 1976م.
- الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي، معجم السفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر 1993م.
- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت626هـ-1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (دس)، ج1/ ج3/ ج4.
- الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت626هـ-1229م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م.
- الرقيق أبو اسحاق، قطعة من تاريخ إفريقيا و المغرب، تحقيق، عبد الله علي الزيدون و عز الدين عمر موسى، دارالغرب الاسلامي، لبنان، 1990م.
- السملالي العباس بن إبراهيم (ت1387هـ/1959م)، الإعلام بمن حل بمراكش و أغامت من الأعلام، راجعه، عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1413هـ-1993م، ج6/ ج9، ج10.

- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الضل إبراهيمي، ط1، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، دس، ج2.
- عبد الواحد المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.
- عماد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماة(ت730)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطباعته، البارون ريكود والبارون ماك كويكن ديسلان، دار الصادر، لبنان، 1850م.
- الفاسي علي ابن أبي زرع بن محمد بن أحمد بن عمر(726هـ/1326م)، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ج1، ج2.
- القاضي عياض، كتاب الغنية، تحقيق، ماهر زهير جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
- المراكشي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، الذيل والتكملة، تحقيق، دكتور إحسان عباس والدكتور محمد بن شريفة ومحمد عواد بشارمعروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م، ج4/ ج3.
- المراكشي ابن عذارى(ت قرن8)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، لبنان، 1983م، ج3، ج4.
- مقديش محمد، نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار، تحقيق، علي الزاوي و محمود محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، مجلد1.
- المقرئ شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(1041هـ/1631م)، نفح الطيب في غصن أندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت،(دس)، ج1/ج2.
- مؤلف مجهول (القرن12م)، الإستبصار في عجائب الأمصار ووصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق، ابن زغلول، نشر وتوزيع، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958م.

- مؤلف مجهول (القرن 8هـ)، نبذة تاريخية من كتاب مسمى مفاخر البربر، نشر وتصحيح ليفي بروفنيسال، الرباط، 1934 م.
- مؤلف مجهول، الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق، سهيل زكار، عبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، 1979م.
- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد (1315هـ/1890م)، الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى، تحقيق، جعفر الناصر، محمد الناصر، دار الكتاب، المغرب، 1954م، ج1، ج2.
- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، عبد المجيد، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004م.
- الورد باقر محمد أمين، معجم العلماء العرب، العرب، راجعه، كوركين عواد، عالم الكتب مكتب النهضة العربية، 1406هـ-1986م.
- الوزان حسن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، تحقيق، محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج1.
- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب (ت514هـ)، في فتاوى أهل إفريقيا والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، بيروت، 1981م.
- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى التلمساني (914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل أفريقيا والأندلس و المغرب، دط، تحقيق، جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

2-المراجع:

- أرسلان شقيب، الحل السندسية في الأخبار و الآثار المراكشية وهي معلمة أندلسية تحيط بكل ما جاء في الفردوس المفقود، ط1، المطبعة الرماوية، مصر، 1355هـ/1936م، ج1.
- أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في "عهد المرابطين والموحدين" ترجمة، محمد عبد الله عنان، تقديم وتنويه، سليمان العطار، القاهرة، 2001م ، ج2.
- بالثينا انخل بنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، تقديم، سليمان العطار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1958م.
- بوتشيش إبراهيم القادري، المغرب والأندلس في عصر المرابطين "المجتمع-الذهنيات -الأولياء" دار الطليعة، بيروت، 1993م
- _____، مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت (د.س.ن).
- بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها -أعيانها، ط4، (ددن)، 2010، ج2.
- الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي "من الفتح الإسلامي حتى السقوط غرناطة، (98-897هـ/711-1492م) ط2، دار القلم، بيروت، 1971م.
- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ "من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية دولة الموحدين"، دار الرشاد الحديثة، 1956م، ج1.
- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطون مقدمة شرقية من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة.
- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين" ط1، مكتبة الخانجي ، القاهرة، (د.س.ن)
- حسين حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس "في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، 1403هـ-1983م.
- الخليفة حامد محمد، انتصارات يوسف بن ناشفين، (400-1009/500-1106)، ط1، مكتبة الصحابة، الإمارات، 2004م.

- دندش عصمت عبد اللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين "عصر الطوائف، (510/546-1116/1151)، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م.
- _____، دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا ، نشر وتحقيق رسائل أبي بكر، دار الغرب الاسلامي ، لبنان، 1988م.
- الدهاس جنيدي فواز بن علي، مروان بن الحكم المؤسس الفرعي ، جامعة أم القرى، 2004م.
- الزركلي خير الدين، قاموس لأشهر تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط7، 1988م، ج2/ ج8.
- سالم عبد العزيز، تاريخ مدينة المرية الإسلامية "قاعدة الأسطول الأندلس"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984م .
- السرجاني راغب، قصة الأندلس "من الفتح إلى السقوط"، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2001م، ج1.
- سعد محمد، الأطلس في تاريخ الاندلس، ط2، دار الاندلس، 1399هـ، ج1.
- سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين "في المغرب والأندلس عهد يوسف ابن تاشفين"، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.
- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ط1، مؤسسة الشباب الجامعية، 1999م.
- السيد عبد العزيز سحر، المغرب في عصر الاسلامي من جديد حول برغواطة، مؤسسة الشباب الجامعية، الاسكندرية، 1993م.
- شهاب الدين أحمد نهلة، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع دراسة تحليلية ، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الأردن، (دس).
- الصلابي علي محمد، الجواهر الثمين في معرفة دولة المرابطين، دار النشر والتوزيع الاسلامية، القاهرة، 1424هـ-2003م.
- _____، فقه التمكين "دولة المرابطين"، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2002م.

- طه أحمد جمال، فاس في عصر المرابطين والموحدين "دراسة سياسية وحضارية" (448هـ/446هـ) (1269/1057)، (د.ط)، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية، (دس).
- _____، فاس في عصري المرابطين والموحدين، دار الوفاء، الاسكندرية، (دس).
- _____، مدينة سلا في عصر المرابطين دراسة حضارية سياسية، دار الوفاء، الاسكندرية، (دس).
- العبادي أحمد المختار، الصقالبة في الأندلس، معهد مصري الدراسات الاسلامية، 1953م.
- _____، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م.
- _____، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، (دس).
- عبد البديع لطفي، الاسلام في إسبانيا، (دط)، (ددر)، القاهرة، 1958م.
- عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الإسلامي من الفتح حتى السقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، 1402-1981.
- العفيفي عبد الحكيم، موسوعة ألف مدينة اسلامية، ط1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000م.
- عنان محمد عبد الله، عصر المرابطون في المغرب والأندلس، القاهرة، 1964م.
- _____، دولة الإسلام في الأندلس "العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي"، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م.
- غبناوي فائق عدنان، حكايتنا في الأندلس، ط1، مؤسسة العربية، (دس).
- غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، 1426 هـ/2006م، ج1، ص ص 385-397.
- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، (دس).
- محمد الأمين محمد، الرحمان محمد علي، المفيد في تاريخ المغرب، (دط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، (دس).

- محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين "صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، (دس).
- مؤنس حسين، شيوخ العصر في الأندلس، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 1997م.
- _____، فجر الاندلس، الشركة العامة للطباعة، القاهرة، 1959م.
- _____، معالم تاريخ المغرب الأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1998م.
- _____، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م.
- _____، الثغر الأعلى الاندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقوسة في - يد النصاري (512هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1992م.

3-الرسائل الجامعية:

- بن الذيب عيسى، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة ثقافية اجتماعية (480-540هـ)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009م.
- غرداين مغنية، نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين (ق 5-7هـ) رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، في تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان، 2015-2016م.
- لعناني مريامة، الأسرة في عصري المرابطين والموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تخصص حضارات المغرب والأندلس، جامعة منتوري قسنطينة.

الفهرس

فهرس المحتويات

البسمة.

الشكر والعرفان

الإهداء.

مقدمة.....أ- ر

الفصل الأول: الجذور التاريخية لدولة المرابطين

المبحث الأول: أصل المرابطون.....7-9

المبحث الثاني: سبب التسمية.....10-12

المبحث الثالث: الامتداد الجغرافي للمرابطين.....13-15

المبحث الرابع: بداية الدعوة وقيام الدولة المرابطين.....15-23

الفصل الثاني: التركيبية العرقية والدينية المجتمع المرابطي

المبحث الأول: البربر

المطلب الأول: بربر المغرب.....24-25

أ- صنهاجة: (لمتونة- جدالة- مسوفة-لمطة).....25-29

ب- زناتة.....29-30

المطلب الثاني: (المصامدة).....30-32

المطلب لثالث: بربر الأندلس.....32-34

المبحث الثاني: العرب

المطلب الأول: عرب المغرب.....35-37

المطلب الثالث: عرب الأندلس.....37-39

المطلب الثالث: المولدون.....39-40

المبحث الثالث: الأقليات الأخرى.....40

المطلب الأول: الصقالبة والروم.....41-43

المطلب الثاني: الأتراك والأغزاز.....43

المطلب الثالث: السودانيون.....43-44

المبحث الرابع: أهل الذمة.....44

المطلب الأول: الطائفة اليهودية (تواجدهم في المغرب والأندلس).....45-47

وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية.....47-49

- وضعيتهم الدينية دورهم في المجتمع المرابطي.....49-50

- دور اليهود في المجتمع المرابطي.....51-52

المطلب الثاني: الطائفة المسيحية.....52

- النصارى تواجدهم بالمغرب والأندلس52-54

- مكانتهم الاجتماعية والإدارية55-57

- دورهم داخل المجتمع المرابطي.....57

الفصل الثالث: طبقات المجتمع

المبحث الأول: الطبقة الحاكمة60

المطلب الأول: الأمراء وقادة الجند.....60-64

المطلب الثاني: أصحاب الوظائف الحكومية الكبرى.....64

أ- الوزراء والكتاب64-66

ب - الولاة66-67

ج - مشرفو المدن..... 67

المطلب الثالث: الفقهاء والقضاة.....67-71

المبحث الثاني: الطبقة الوسطى

المطلب الأول: أصحاب الوظائف الحكومية المتوسطة.....71-72

المطلب الثاني: التجار وأصحاب المهن.....73-75

المطلب الثالث: الصيارفة والسماسرة.....75-77

المبحث الثالث: الطبقة العامة

المطلب الأول: الصناع والفلاحون.....78-81

المطلب الثاني: التجار الصغار او باعة المتجولون.....81-82

المطلب الثالث: المهمشون..... 82

أ- المتسولون82-83

ب- قطاع الطرق.....83-84

المطلب الرابع: فئات أخرى.....84

أ- الأيتام..... 84

ب- العبيد والأسرى.....84-86

الفصل الرابع: مظاهر الحياة الاجتماعية (القيم السائدة والآفات الاجتماعية)

المبحث الأول: الأسرة.....88

المطلب الأول: الزواج والمشاكل الأسرية.....88-89

المطلب الثاني: مكانة المرأة.....89-93

المبحث الثاني: العادات والتقاليد

المطلب الأول: الاحتفالات والمواسم.....94

أ- الاحتفالات الأعياد الدينية.....94-96

ب- الاحتفالات بالأعياد المسيحية.....96-97

ت- الاحتفالات العسكرية.....97

ج- الاحتفالات الأسرية.....97-98

المطلب الثاني: وسائل وأماكن الترفيه.....98-99

المطلب الثالث: المنازل.....99

المبحث الثالث: الألبسة والأطعمة

المطلب الأول: الأطعمة.....100

أ- الأطعمة في المغرب.....100-101

ب- الأطعمة في الأندلس.....101-102

المطلب الثاني: الألبسة.....102-103

- لباس العلماء.....103-104

- لباس الفقهاء.....104

- لباس اليهود..... 104
- لباس (النساء طبقة الخاصة)..... 104-105
- لباس (النساء الطبقة العامة)..... 105
- لباس النساء في الأندلس..... 105-107

المبحث الرابع: القيم السائدة والآفات الاجتماعية

- المطلب الأول: القيم السائدة..... 108-109
- المطلب الثاني: الآفات الجماعية (التسول/ البغاء)..... 109-111
- أ- الأمراض والأوبئة- طرق معالجتها..... 111-112
- خاتمة..... 113-116**
- قائمة المصادر والمراجع..... 116- 125**

الملاحق

الفهرس

الملخص:

شهد المغرب والأندلس ظهور دولة مهيبة الأركان عرفت بدولة المرابطين دولة إسلامية أساسها القيام بالمعروف والنهي عن المنكر، وشهدت هذه الدولة مجموعة من الأحداث التاريخية والسياسية وناهيك عن الحياة الاجتماعية التي رصدت تنوع المعالم الحضارية في مختلف الجوانب وعكست ذلك في صورة واضحة عن أحوال الشعوب حيث شكلت كيانا اجتماعيا قويا مختلف التشكيلة البشرية.

أهم العناصر البشرية التي شكلت خريطة سكان المغرب والأندلس في الحقبة المرابطية تجلت في العنصر البربري الذي مثل السواد الأعظم من سكان الحواضر المغرب الأقصى وبواديه على الخصوص ثم يأتي العنصر البربري الذي اتخذ من المدن مستقرا له وبدرجة أقل الأقليات على غرار الصقالبة والروم والعنصر السوداني والأتراك وأهل الذمة من اليهود والنصارى حيث ميزهم ذلك الاختلاف العرقي والديني واللغوي ونجم عن ذلك الاختلاف ظهور تصنيف طبقي قسمت طبقات المجتمع المرابطي إلى ثلاث طبقات الحاكمة والوسطى والعامة فالطبقة الحاكمة التي كان تتحكم في الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيش حالة البذخ والترف ويلبها الطبقة الوسطى التي حاولت جاهدة الوصول والارتقاء إلى مستوى الطبقة الحاكمة إلا أنه لم يكن لها الحظ فعاثت وضع التوسط والاعتدال إلا أنها أحسن حالا من طبقة العامة التي كانت في أسفل الهرم الاجتماعي يميزها مستواها المتواضع وما نلاحظه من التمايز الطبقي الذي ساد في المجتمع المرابطين.

ارتبط المجتمع المرابطي بجملة من العادات والتقاليد المتعلقة بمعطيات العصر المرابطي فتلك التقاليد بدءا من الزواج والمرأة وكأنه التي حظيت بها داخل الأسرة والمجتمع وعن العادات والتقاليد المتعلقة بهذا المجتمع ترجع إلى الألبسة والطعام وكانت تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية التي كانوا يحتفلون بمختلف المناسبات فضلا عن الأعياد والمواسم التي يحتفلون بها ناهيك عن الترويج عن أنفسهم في أوقات فراغهم، والإشارة إلى القيم الأخلاقية التي كانت تتمحور في الكرم والنظافة ورغم ما كانت هاته القيم طغت عليها بعض الآفات .

Résumé

LE Maghreb et l'Andalous ont été assistés de l'émergence d'un état majestueux appelé les almoravides. C'est un état islamique fondé sur la promotion de la vertu de la prévention du vice, cet état a été assisté d'une série d'événements historiques et politiques, sans oublier la vie sociale qui a suivi la diversité des caractéristiques urbaines sous divers aspects et reflète cela dans une image claire de situation des peuples ou il forme une entité sociale forte de différente configuration humaine .

Les éléments humains les plus importants constituant la carte de la population marocaine et andalouse à l'époque almoravide a été disparu à l'ère berbère qui représentait la majorité de la population des villes maghrébines et ses environs en particulier puis vient l'élément berbère qui a installé dans les villes et dans une moindre mesure des minorités telles que les romains et les soudaines et les turcs et le peuple du delier des juifs et des chrétiens ou ils sont différenciés par la différence et humaine résultat de cette différence est l'émergence de la communauté des almoravides a divisée en trois couches «gouverneuse –moyenne et le public.

La classe gouverneur qui contrôlait les affaires..politiques sociales et économiques qui essayait d'atteindre le niveau de la classe gouvernante mais elle n'avait pas eu la chance et vivait dans une situation de médiation mais elle est mieux que la classe publique qui se trouvait au bas de la pyramide elle se caractérise. Par son niveau modeste et par ce que nous observons de la différenciation de classe qui domine dans la communauté almoravide.

La communauté des almoravides est associée à une série d'habitudes et traditions commençant par le mariage et femme tels étaient considérables à l'intérieur de la famille et de la société et aussi les habitudes et les traditions concernant cette société reviennent aussi les mœurs et diffèrent selon les classes sociales célébrant les différentes occasions les fêtes et saisons qu'ils célèbrent sans pendant leur temps libre sans oublier les valeurs morales centrées sur la générosité et la propriété bien que ces valeurs furent éclipsées par certains vices sociaux.